

برل الاشتراك من ستة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ ملها

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

بجدة (السعودية) للعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٧٩٣ « القاهرة في يوم الاثنين ١٠ ذو القعدة سنة ١٣٦٧ - ١٣ سبتمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

مالي لا أكتب؟

يعتب عليّ صديق الميلاس أنني لا أكتب في هذه الأيام للرسالة، ويحتج لعتابه بأن دواعي الكتابة في ريف المنصورة، أو في ظلال (الكافورة)، أقوى من أن ينهض لها عذر من اعتلال أو اشتغال أو إراحة. وواقع الأمر أنني لم أكن كاليدوم أرهف شموراً بالجلال، ولا أباغ تأثراً بالطبيعة، ولا أشد انطواءً على النفس؛ ولكن أكثر ما يتمثل في الخيال، أو يخطر على البال، - وأنحى بالشعر أشبهه إلى الغناء أقرب؛ فإذا هم باقتناصها القلم اندلعت من جوانب النفس زفرات وقودها الصهيونيون واللاجئون والحرب والمهدنة وترومان وستالين وبرنادوت ومجلس الأمن وهيئة الأمم، فأنصرف عن الغناء إلى الرثاء، وأنتقل من الضحك إلى البكاء. وأهمّ بتلحين الألم وتوقيع الأبين، فتنبعث من نواحي العقل أصوات تستفكر وتستعفر وتقول: لقد خطبنا حتى جف الريق، وكذبنا حتى نفذ المداد، وبكينا حتى نصب الدم، فما الذي أغنى عنا كل أوائك؟ ألا يزال أرباب اليهود مغرورين بتبجحهم بالدولة والجيش؟ ألا يزال عرب فلسطين مشردين يكابدون ذل الاغتراب وشظف العيش؟ ألا يزال ترومان الآخرق يجرى على سياسة الهوى والعائش؟ ألا يزال برنادوت الغر يستر عجزه بالمداينة والغيش؟ فأصيح إلى صوت العقل وأقول: بلى، كل أوائك لا يزال، وأنغني على الله رب العالمين وناصر العرب والمسلمين، أن يستحيل اللسان في فم

حساماً يضرب، والبراع في يدي سنناً بطن، والنضب في نفسي عاصفة تدمر، والضنف في جسدي قوة تبديد. فأنا الآن مترجح بين طرفين كلما ملت إلى أحدهما جذبني إليه الآخر أنظر بعيني إلى مفاتيح الطبيعة في ضفاف النهر وحواشي الحقول ومماشي الرياض فأبتهج، ثم أنظر بقلمي إلى مخازي الناس في صور النذالة والجور والبؤس بفلسطين فأكتب، ثم يصيبني المي والغرس لأن انتباهي عابر لا يحدث غير الافتقار، ولأن اكتسابي عاجز لا يبعث غير الدمع.

وإذا حصلت من السلاح على البكا فحشاك رعت به وخذك تفرع إن نكبة فلسطين ومحنة العرب قد غطت على كل حاسة وغلبت على كل عاطفة؛ فالفكر فيهما والحديث عنهما ملء القلوب وشغل الألسن؛ ولكن الكلام مواء، والبكاء ضنف، والتي أباطيل، والمهادنة غش، والمفاوضة عجز؛ فلم يبق إلا أن فسكت لنعمل، وندير لننفذ، ونقفوى لنورد، ونسليح لننجح، ونقتل لنحيا، ونظلم لنحترم!

لو كان في الدنيا حق لما كان لفلسطين قضية، ولو كان في الناس عدل لما اصطلحت على ظلمنا الشيوعية والرأسمالية، ولو كان في الأمر اختيار لما تركت سيوفنا من بني يهوذا بقية! إلا إن أفدح الخطوب أنت بخاتم الأسود القرود، وإن أقيح الحروب أن يقاتل العرب اليهود!

فلو أني كتبت باسمي خؤواني بنو عبد الدار
لأن علي ما ألقى واسكن تماثروا فانظروا بمن ابتلاني
حميس الزيات (منصورة)

لمحة من سيكولوجية الطفل

للدكتور فضل أبو بكر

—»»»»»—

تناسبه ونسبها ، ولكن المناسبة المشددة لا يمكن أن تتم وتكتمل وإنما هي نسبية وغير مستقرة ، ومن هنا كانت حركته الدائمة وتغيره المستمر ، وهما أبرز مميزات الحياة ، وما نحو الطفل وتغيره الجسمي والعقلي إلا سمياً وراء ملاءمة البيئة .

يعلم مما تقدم أن ظاهرتي التمثيل والتكييف ، أو بمهارة أخرى الإخضاع والخضوع ، تحدثان في آن واحد ولكن بنسبة غير متساوية ، أي أن أثر إحداها قد يكون أقوى من أثر الأخرى ؛ « فدارون » « Darwin » مثلاً يؤمن بأن إخضاع الكائن الحي لبيئته هو أقوى من خضوعه لها ، وعلى ضوء هذا الاعتقاد يشرح لنا نظرية التطور والتنافي الحيوي من أجل البقاء والخلود ، وأن طائفة من علماء الطبيعة تؤيد « دارون » وتحذو حذوه .

وهناك فريق آخر من العلماء يخالفون « دارون » ويمتقدون عكس ما يعتقد وعلى رأسهم العالم « لامارك » « Lamarck » وفي نظره أن البيئة هي التي تخضع الكائن أكثر مما تخضع له ، وأن على الكائن أن يبدل من ذاته ، وبغير مما بنفسه حتى يكون أكثر ملاءمة لها .

كذلك الفلاسفة من علماء الاجتماع والأخلاق ينقسمون إلى قسمين بالنسبة للبيئة الاجتماعية :

فالفريق الأول ورأته الفيلسوف « نيتشه » « Nietzsche » يرى ما يراه « دارون » في البيئة الطبيعية ، وهي فلسفة القوة والبطش وأن « الرجل المثالي » في نظره الذي يستحق شرف هذا اللقب هو القوي يخضع العالم ويطش بالرجال حتى يدينوا له وينقادوا إليه ، وأن السالة والتسامح والمطف والعفو ما هي إلا صفات العاجز الضعيف وهي تباعد ما بين من يتصف بها عن المجد والسلطان على حد قول أبي الطيب :

ولا تحسبن المجد زقاً وقينة ذا المجد إلا السيوف والفتك البكر
ونضرب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والسكر المحر
وتركك في الدنيا دويلاً كأنما تداول سم الرء أتمله العشر
والفريق الثاني وزعيمه « أبيقور » Epicure ومدرسته ينادي بعكس ما ينادي به نيتشه وهي فلسفة الخضوع والدراة والمصانة ، وفلسفة « الدهريين » ، و« الرجل الماقل » في نظره هو الذي يخضع

غاية كل كائن حي مما يديه من مجهود وما يبذله من حركة إنما ترى إلى هدف واحد هو الحصول على شيء من التوازن ، الملائمة للبيئة التي تكنته والوسط الذي يعيش فيه وهو شرط أساسي لبقائه وحفظ نوعه ، وكلما كان الكائن معقد التركيب دقيق الصنع كانت بيئته معقدة صعبة وكان مجهوده أكبر وعناؤه أشد للملاءمة تلك البيئة .

والبيئة فيما يتعلق بالإنسان الذي نحن بصدد دراسة جانب من سيكولوجية طفله — تنقسم إلى قسمين هما :

١ — البيئة الطبيعية « Cosmique » .

٢ — البيئة الاجتماعية « Social » .

فالأولى تشمل الأرض التي يعيش فوق أديمها من خضوعها وجدها ومن نجدها وغورها ومن ماء عذب وأجاج ومن طقس رطب وجاف ، ومناخ حار ومعتدل وبارد إلى غير ذلك من المحيط الطبيعي . والثانية أي الاجتماعية هي اصطلاحية عرفية من خلق الإنسان نفسه ؛ لهذا تختلف باختلاف الأمم والأجناس والمادات والبقاع ، وتخضع لمجموعة من القوانين السماوية والوضعية تلزم الإنسان بما عليه من واجبات نحو غيره وبما له من حقوق لدى المجتمع ، وهي بيئة أكثر تعقيداً من الأولى لأنها كما سبق ذكره من عمل الإنسان وهو عمل ناقص إذا قورن بمعمل الطبيعة ؛ ومن هنا كانت مضطربة دائمة التحول والتبدل تشهد الكمال بقدر المستطاع .

فالإنسان يؤثر في محيطه بنوعيه من طبيعي واجتماعي ، ويحاول إخضاعه لحد ما ليكون ملائماً له وهو ما يحدث بظاهرة الإخضاع « والتمثيل » « Assimilation » كما أن بيئته نفسها تحاول أن تؤثر فيه وتخضعه لحد ما ليكون ملائماً لها وهو ما يحدث بظاهرة الخضوع والتكييف « Accomodation » وهو محور وتبدل جهاني ونفساني لذلك الفرض .

وهو لهذا في كره وفر مع بيئته يخضعها ويخضع لها حتى

الطور الأول :

يبلغ متوسط وزن الطفل عند الولادة نحو ثلاثة كيلوجرامات وهذا الوزن يبلغ ثلاثة أضعافه عند نهاية العام الأول ، وأربعة أضعافه لما يكمل الطفل عامين من عمره ، ومن هنا نرى أن هذا الدور من عمر الطفل يتميز بسرعة النمو ولا سيما من حيث النمل ، وبأنى بعده الطور الرابع فيما يتعلق بسرعة النمو وخصوصاً من ناحية طول القامة ، أما الثاني والثالث فهما أقل أهمية من سابقيهما إذ يبطؤ فيهما النمو نسبياً.

طور المراهقة :

يبدأ لدى الطفل في نحو العام الثاني عشر ويستمر إلى السابع أو الثامن عشر من عمره ، ولدى الطفلة من الحادى عشر إلى السادس عشر ، ولكن هذه الحدود والمقاييس نسبية تختلف اختلافاً كبيراً بالنسبة للأجناس والأماكن ، وهى عندنا فى الشرق أكثر بكوراً منها فى الغرب . يسرع النمو فى ابتداء المراهقة من حيث القامة والأطراف وخاصة السفلى منها ، وفى هذا الطور يضمف الطفل ويمتريه شيء من المزال والكلال كما تقل مناعته وتختل توازن الجسم ، ومن هنا كان هذا الطور أخطر الأطوار إذ هو دور انقلاب جسمانى وعقلى ونفسانى مما يحتم على الوالدين والمربين ملاحظة الطفل والعناية به من حيث الغذاء والرياضة البدنية والنفسانية !

تظهر على الطفل عوارض وسمات الجنس تدريجياً -- من رجولة أو أنوثة ويبدأ التناسق فى أعضاء الجسم كما تبطؤ حركة النمو الجسمى من السابع عشر والثامن عشر إلى العشرين أو الواحد والعشرين على وجه التقريب وهو الحد الأعلى لانمو الجسمى .

نمركز اهتمام الطفل حول ذاته : « Egocentrisme »

هو بدء الحياة العاطفية والمقلية لدى الطفل وهو شعور غريزى وغير واع لا يعجز الطفل فى بدايته بين ذاته وبين ما يحيط به بل يخلط بينهما خلطاً . بيد أن هذا الخلط نفسه آت من ارتباط الطفل ببيئته وتكوينه وحدة معها ، كما أن هذا الشعور نفسه يقع تحت بند ظاهرة الأحصاع « Assimilation »

البيئته ويتأثر مع دهره على حد قول من قال :

ودر مع الدهر وانظر فى عواقبه حذار أن تبلى عيناك بالرمد والبس بكل زمان ردة حضرت حتى تحاك لك الأخرى من البرد هذه مقدمة موجزة لا بد منها لفهم بعض مظاهر سيكولوجية الطفل لأن نموه وتطوره ما هما إلا نوع من ضرورة ملائمة البيئة ، وهذا النمو نفسه هو تغيير مستمر فى الشكل « مورفولوجى » ووظيفى « فيولوجى » ونفسانى « سيكولوجى » ، فالحاجة أو الوظيفة تخلق العضو وتكيفه بشكل خاص « Le besoin crée L. organe » وكذلك العضو يخلق الحاجة أو الوظيفة ويطلبها بطابعه « L. organe crée le besoin » .

نرى مما تقدم أن « المورفولوجى » مرتبط « بالفسيولوجى » كما أن الأخير مرهون « بالسيكولوجى » ومن هنا يحق لنا القول بأن البيئة و « المورفولوجى » و « الفسيولوجى » و « السيكلوجى » هى وحدة - كوحدة وادى النيل - لا تقبل التجزئة ، ونسج واحد متناسق متجانس لحمة وسدى .

نمو الطفل :

هنالك ظاهرة تسترعى الانتباه وتلفت النظر فيما يتعلق بنمو الطفل ، أو عبارة أخرى ملائمة لبيئته ، وتلك الظاهرة هى طول المدة اللازمة لذلك ولا سيما إذا قارناها بمتوسط عمر الإنسان (نحو خمسين عاماً فى الغرب وأربعين عاماً فى الشرق) فهو يستغرق أكثر من ثلث متوسط عمره كرجل ليبلغ القمة من نموه الجسمى وهى سن العشرين أو الواحد والعشرين ، ومن هنا يمكن أن نستخلص قانوناً عاماً يمكن تطبيقه على الإنسان والحيوان ، ونحوه أنه كلما كان الحيوان دقيق الصنع معقد التركيب كانت المدة اللازمة لنموه طويلة بالنسبة لمتوسط عمره .

ويمكننا أن نعتبر بأن الطفل يمر بأربعة أطوار :

١ - الطور الأول منذ وقت ظهوره إلى عالم الوجود إلى

الثانية من عمره .

٢ - الطور الثانى منذ أول العام الثالث إلى السابعة من عمره

٣ - الطور الثالث من أوائل العام الثامن إلى آخر

الحادى عشر .

٤ - والرابع منذ آخر الحادى عشر إلى آخر الثامن عشر .

باعتبارها كائنات حية ذات إرادة .
كذلك المهنويات لدى الأطفال ما هي إلا كائنات حية ،
فقد بتخيل الله كرجل وقور ذى لحية بيضاء وسيا جسيما ،
وليس فيما نذكر من غرابة أو شذوذ إذا علمنا بأن الإنسان الأول
مر على هذا الطور ، وما زالت بعض الشعوب البدائية تقف عنده
في تطورها العقلي . فقدماء الإغريق والمصريين كما ورد في الألياذة
وما ارتسم على الجدران وأوراق البردى من نقوش ، كانوا يتصورون
الآلهة في صورة بشرية مجردة حية لها خواص البشر إلا أنها
تختلف عنهم في بعض الأوجه كالسيطرة والسيادة المطلق
اتصريف أمور الكون وتنم بعممة الخلود والحياة السرمدية !
أما الاصطناعية فهي تتلخص في اعتقاد الطفل أن كل
ما يحيط به ويقع تحت حواسه ما هو إلا اصطناعى من خلق
الإنسان ولاسيما والديه وهو شعور منشؤه الحياة الأنكالية وتتركز
اهتمام الطفل حول ذاته . فالشمس صنعت لإنارته ودفنه ، والبقرة
صنعت لكي تدر عليه اللبن كما لو كان لسان حاله يقول « من
بمدى الطرفان » .

العواطف عند الطفل :

هي وليدة الحاجة تتكون من مجموعة انفعالات عمياء غير
واعية ، ومن هنا كان الاضطراب الذى يسودها ، كما أنها تنمو مع
الطفل وتهذب وتصفل ويتوجه كل منها في اتجاه معلوم ، كما
تلتقي الانفعالات التشابهية المتجانسة في « بؤرة » واحدة ، وفي
هذه الحالة فقط يصح لنا تسميتها « بالمواطف » ، وهذه
المواطف الطفلية ترمى إلى غرضين مختلفين : أولهما عامل النمو
والتطور وتتحكم فيه الأنانية والاستيلاء على كل شئ ، وعدم
الاعتراف بما يخرج عن محيط « الذات » كما يمتاز بالخلط ما بين
وغيرها مما يحيط بها . والثانى هو عامل ملائمة البيئة ملائمة
حقيقية لتخيه عن العامل الأول حيث الملائمة لا تكون إلاجزئية ،
ومن ناحية واحدة هي ناحية الخور أو الإخضاع أو التمثيل ، وفي
هذا الطور يحدث عند الطفل ما يشبه التضحية وإنكار الذات
لخدمة ، إذ يبدأ التفريق ما بين ذاته وغيرها ، ويعترف بوجود ما حوله .
ويسمى الاجتماعيون الطور الأول بطور الحيوانية « Animalité »
والثانى بطور الإنسانية « Humanité » .

والحياة إذ الطفل يحاول أن يجتذب كل شئ . ويعتلكه وليس في
ذلك من شذوذ ، ولكنها تخضع لقانون حيوى ، ثم يتطور ذلك
الشعور ونقصه به تتركز اهتمام الطفل حول ذاته ويبدأ بالتفريق
ما بين ذاته وغيرها مما يحيط بها ، كما تبدو عنده الظاهرة الثانية
ونعني بها الخضوع و « التكيف » ال « Accomodation »
وعند ظهورها فقط يمكن أن نقول بأن الطفل بدأ بلائمه بيئته
ملائمة حقيقية .

تطور عقلية الطفل :

يقول « بياجييه » « Piaget » في كتابه « الحكم
والاستنباط لدى الأطفال » وكتاب « فهم الطفل للعالم » وكتاب
« بدء الحياة العقلية عند الأطفال » بأن أهم ما يميز عقلية الطفل
ثلاثة خواص هي : « الواقعية » « Réalisme » و « الحيوية »
« Animisme » و « الاصطناعية » « Artificialisme » .
فالواقعية لدى الأطفال ليست بواقعية الكبار ، بل
تختلف عنها اختلافا كبيرا ، فهي نظرة مفردة متجزئة لا يحيط
بهم من أشياء ، وكل ما يقع تحت حواسهم — وما يكون
منها خاصا لتلك الحواس فقط — ينظرون إليه بلغة عواطفهم وبما
يشهونه أن يكون ، كأنما كل شئ خلق لهم ومن أجلهم ،
وبعبارة أخرى لا يفرقون بين ما لهم وما لغيرهم .

والحيوية استعملها لأول مرة بعض علماء « الانثروبولوجى »
أى علم الإنسان ، إذ وصفوا بها عقلية بعض الشعوب الفطرية التى
لم تتطور عقليتها بعد ، بل وقفت عند هذا الحد الصياني ، والذين
يعبدون الجداد من أصنام وتماثيل أو الشمس والقمر ، ويعتبرونها
كائنات حية ذات حول وقوة .

كذلك الطفل في أول طفولته ينظر إلى بعض الأجسام من
جماد كأنها كائنات حية ذات إرادة ، فالقمر ينظر إليه ويتبعه ،
والسيارة تنقله من مكان لآخر لأنها متفاداة مطوعة تقدم له
خدمات عن وعى وإرادة . وقد يصطدم رأسه بالخائط فيتألم من
ذلك وتثور ثورته فينهال على الخائط ضربا عقابا له على ما اقترن
من ذنب ، كما يغضب لأن لعبة لم تطاوعه ولم تسرع على
هواه فينهال عليها ضربا ويوقع بها العقاب ، وربما حطها وهو

عاطفة الأنانية :

هي أثر من آثار تمرکز الاهتمام حول الذات « Egocentrisme » لأن هذا الاهتمام لم يتطور أو يتبدل إلا جزئياً وهي عاطفة غريزية وضرورية « بيولوجية » لازمة لنمو الطفل وحفظ النوع، كما أن آثارها تبقى حتى عند الكبار، تتفاوت في الدرجات ولكنها لا تزول نهائياً حتى في نفوس أكثر الناس تضحية وإنكاراً للذات، وما هذا الإنكار إلا نسبي، وأن المبالغة في إظهاره وتجسيمه ما هو إلا نوع من حب الظهور تخليه عاطفة دفينية هي الأنانية نفسها التي نحاول أن نخفيها ونظهر عكسها والمضاد لها من الصفات . وبزعم الكاتب الاجتماعي « دانتك » « Dantec » بأن الأنانية هي الترياق الشافي لذلك السم الاجتماعي وتتمد به النطفة والحياة الأنكالية التي تعتمد على الغير، وقد ذهب هذا الكاتب إلى أبعد من ذلك في زعمه، وألف كتاباً في هذا الصدد عنوانه « الأنانية هي الأساس التين الذي يجب أن تقوم عليه الهيئة الاجتماعية » .

والأنانية تتطور عند الطفل وتأخذ صورة اجتماعية معينة هي بدء الشعور بمزة النفس والكرامة ؛ يشعر الطفل في هذه الفترة بحاجة ملحة إلى الإطراء والثناء من جانب الغير ، فترام توافقاً لمرض ما يمتلك من أدوات اللعب وما يرتدى من ثياب في شيء من الزهو والمباهاة ، ثم يقوم أمامك بما يحسن وما لا يحسن من ألعاب ، أو ياتي على مسمعك ما وسع اجتهداه وما وعت ذاكرته الضعيفة من دروس أو أغاني ، وهو في كل ذلك حريص كل الحرص على أن ينال منك أكبر قسط من الثناء والتهاني ، كما يسيئه أن تمتدح أمامه طفلاً آخر فيشعر بشيء من التنب وبتالم لجرح كبريائه .

هذا والشعور بالكرامة نفسه يتطور إلى غيره من الصفات ، فهو إذا صادف تشجيعاً من الغير وسلم من عوادي التجريح سما إلى شيء من الاعتماد على النفس والشجاعة والكبرياء ، وهي صفات مصيرها الشعور بالقوة ؛ أما إذا حال حائل دون نموه الطبيعي بمعنى أن أصيب بالسكت والنهر من جانب القساة من الوالدين أو وجه توجيه خاطئ بواسطة الجهلاء من المربين ، فإن هذا الشعور ينحرف ويشذو ويصبح الطفل خجولاً أو جباناً كما

تولد في نفسه عاطفة الحسد والحقد على الغير وهي صفات ماعددة من الضعف وعدم الاعتداد بالنفس .

ظهور الشخصية واكتمالها عند الطفل :

يبدو هذا الطور عند الطفل في نحو الثالث من عمره كشخصية قائمة بنفسها ويمر الطفل أثناء بطورين متضادين : الطور الأول سلبي : يكون فيه الطفل عصياً شديداً العناد يعمل في معظم الأحيان بعكس ما يلقى عليه من تعليمات على حد المثل « خالف تمرن » ويجد في ذلك لذة نفسية تنتج عن شعوره بشخصية مستقلة عن الغير تعمل حسب ما يوافق عواها ، كما يبدأ التفريق بين ما له وما لغيره وهو شديد الضن والحرص على ما يمتلكه إذ تلك الممتلكات خاصة بشخصه يرى فيها مكملات لتلك الشخصية ومساعداً لبروزها .

والطور الثاني إيجابي : يحاول الطفل فيه جلب إلتظار الغير بشتي الطرق ، ثم يبدأ بتقليد الغير لا من الصغار أو من هم في مثل سنه ولكن بالكبار من مختلف الأوساط والهيئات تشبهاً بهم .

ثم يستجد في حياة الطفل حادث له أهمية كبيرة من حيث الشخصية ، وذلك حين يبلغ السادسة من عمره وهي السن التي يفادر فيها « مدرسة الأم » المنزلية ويختار بغيره من الأطفال في المدارس الأولية ، إذ تضطره قوانينها للخضوع كما يشعر بشيء من ثلاثي الشخصية وضمة الحد ما ، وبقل تفكيره في « الأنا » وتطنى ظاهرة الخضوع والمطاوعة « Accomodatiou » على ظاهرة الإخضاع « Assimilation » ويستمر الحال كذلك إلى أن يبلغ العاشرة من عمره ، وهي السن التي يحمل فيها على شيء من التوازن .

يبدو أن هذا التوازن لا يدوم طويلاً إذ يختل ويضطرب في طور المراهقة الذي يبدأ في نحو العاشر أو الحادي عشر إذ تنفاب ظاهرة الإخضاع مرة أخرى ويشعر المراهق بحاجة شديدة لإثبات شخصيته وفرضها على الغير مثل ما يحدث عنده وهو في الثالثة من عمره ولكن بصورة أوضح ، وكذلك يمر على طورين :

الطور الأول سلبي : وهو طور العصيان والتمرد ، ولكنه تمرد أكثره على الامنوبات منه على الناس والأشياء ينتقد فيه آراء غيره ويتوق إلى الهدم ويخالف العرف كما يمنح إلى « التالية »

التيارات الفكرية حول هذه المسائل ، تفيض في جدولين مختلفين يمكن تمييزهما — ولو نظرياً على الأقل — : جدول الإصلاح ، و جدول المعارضة . بيد أنه من الناحية العملية ، يصعب أحياناً أن نقرر ما إذا كان ما يترأى لنا معارضاً ، ليس حقاً بمجهود خداع تجاه الإصلاح ؛ وفكرة للدفاع عما يؤكد الكاتب من أنه رأى الإسلام الأصلي في الشئون الاجتماعية .

وكثيراً ما يوصف الإسلام بأنه دين عام شامل ؛ ولكن جميع الأفكار الدينية التي شكلت النظرة الخيالية والمقلية في ذهن الإنسان ، وقررت الأعمال الإرادية الإنسانية ، تميل إلى أن تكون شاملة . فهي يجب أن تعمل على أن تسيّر قواعدها على مختلف نواحي النشاط الاجتماعي ، لكي تسيطر على الحكومة . وعلى هذا الأساس فالدين اليهودي عام ، وكذلك المسيحية . ونحن نسينا ذلك فإبما نفعل لأن المسيحية منذ فجر حياتها ، كانت مضطرة إلى قبول السطة والقانون الروماني ؛ ولأنها — عند ما كان يظهر أنها على قاب قوسين أو أدنى من النصر ، في كفاحها المرير مع نظام الإقطاع في العصور الوسطى — كان عليها أن تتحمل صدمات عدوين جديدين هما : الإنسانية والعلم . والدم نفسه آخذ في الاقتراب من الانقلاب إلى فكرة التعميم ، بعد أن حطم معارضة الدين ، وذلك باتحاده مع الإنسانية وارتباطه بالتحجر الاقتصادي . وإذا حكمنا بطلانها في ألمانيا والروسيا ، فإن التعميم العلمي يعمل على إيقاع العالم في مأزق ضيق ، شديد وصعب ، يمدأ عن كل شيء ، إلا ما جربه الجنس البشري .

وبالمقارنة نجد أن التعميم (الشمول) في العقيدة الدينية طريق سهل واضح . فبما تكن عليه السلطات الدينية من غفلة ، فإنها على الأقل تعرف قيمة الفرد وشخصيته ، فتكفل له قدرأ معقولاً من الحرية . وفي الإسلام كان لهذه الحرية حد بعيد ، يزيد بعداً بفقد التنظيم ، وغياب القيادة ، ولكنها — كما في كل النظم العامة — تحاول أن تتحكم أو تمنع انتقال « الأفكار الخطرة » وانتشارها . وإنه الجدير بنا أن ننظر نظرة فاحصة في أثر مبدأ « الأفكار الخطرة » خطرة على من ؟ على مستقبل الفرد ؟ وإذا رأى الإنسان — بعد كل شيء — أن يخطر فيما يحلب له العقوبة الأبدية في جهنم ، فإن هذا هو شأنه الخاص . أم خطرة على تنقية المتفادات

٢- الاتجاهات الحديثة وظهور الإسلام :

القانون والمجتمع (*)

للأستاذ هـ . ا . ر . جب

من وجهة النظر الدينية الحديثة للمعارضين في أضييق معانيها ، نتجه نحو الغايات الاجتماعية للأمم الإسلامية . لما كانت التقاليد والأوضاع الاجتماعية والقانون — في الأصل — مظاهر للنظام الديني في الإسلام ، فإن كل هذه المسائل ترتبط بالثقافة الدينية إلى حد أكبر مما هي عليه في حضارتنا الغربية . وعلى ذلك فأحدث

(*) انظر : نشرناه في العدد ٧٩٠ من الرسالة الثراء (انترجم)

كذلك تكثر عنده أحلام « اليقظة » .

والطور الثاني إيجابي : يعتنى فيه المراهق بهندامه كما يكون شديد القورور بحجاسنه الجسدية أو المعنوية والرغبة في إظهارها للغير كلما وجد إلى ذلك سبيلاً .

الكمال الشخصي :

لا يمكن للشخصية أن تكتمل إلا إذا تم التوازن في شكل متآزر متناسق بين ما ذكرنا من مظاهر وانفعالات وصفات ، ومن خلل الرأى أن نعتمد على الطبيعة ككل الاعتماد لنهب لنا ذلك التوازن المنشود ، بل يجب علينا أن نعينها على أداء وظيفتها بكل ما في وسعنا وهي المسؤولية الجسيمة التي تقع على عاتق الوالدين والمربين والمرشدين ، فيجب عليهم — والحالة هذه — أن يكونوا أعلاماً لا قيام بها على أحسن وجه .

وليس المجال هنا بممتنع لسرد ما يجب اتباعه حتى ينشأ الطفل متزن الشخصية كاملاً وبارزها ، وقد عالج ذلك علماء التربية الحديثة والاجتماعيون بمقاربة شاملة وليدة التجارب والمقل الذكي .

هذه بيذة مختصرة ولحمة خاطفة من سيكولوجية الطفل وبدء سوت يهقه عود قريب والموود أحمد

فضل أبو بكر

(درس)

سنة داروق الأول السودانية ثرونا

الإسلام لم يكن معتبراً — مثل القانون الروماني والحديث — أنه الخلاصة التدريجية لتجارب الناس التاريخية . وإن أول مظاهره هي ترتيب الأعمال في مستويات مطلقة للخير والشر ، وما أثبتت العقوبات لأحكام المستوى سوى مسألة ثانوية .

إن المستوى الصحيح للخير والشر ليس بالشيء الذي يمكن أن يتحكم فيه عقلياً . وقد رأينا في الفصل الأول (١) ، كيف أن العقليّة الإسلاميّة رفعت كل تلك النظريات العامة التي تخرج منها بمستويات مطلقة . وكانت الوسيلة الوحيدة التي يمكن معرفتها بها هي الملازمة ؛ إذ أن الله وحده هو الذي يعلم ما هو خير أو شر مطابق . ولذلك كان النظام القانوني في الإسلام يبدأ مع القرآن ، ويتطور جنباً إلى جنب — وبفلسفة الطريقة — مع التنظيم النظري . إن الأمثلة الموجودة في القرآن أو التي استخرجت منه ، قد اكتملت بسنة النبي صلى الله عليه وسلم السائدة ، وأنها الإجماع الثابت للمجتمع . وإن المذاهب الأربعة : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي ، مذاهب قانونية ، أكثر منها دينية . ثم إن الجماعات التي نشأت بالنظريات ، قد شيدت نظمها على خطوط متشابهة .

ولسنا هنا في حاجة إلى أن نتمتع كثيراً في مبادئ هذه النظم القانونية وأساسياتها ، فإن أهم ما يعنيننا ، هو أن نحيط علماً بقيمة التأثير المتبادل بين القانون الإسلامي والمجتمع الإسلامي . فكل نظام يفترض — بآدي — بدء — أن هؤلاء الأشخاص الذين يعمل لخدمتهم يرغبون في قبول سلطانه ، ويفهمونه على أنه يحيط بهم — حتى ولو خاطروا من حين إلى آخر — وتمدوا حدوده . إذن فقبول القانون الإسلامي كان مترتباً على قبول دين الإسلام . وقد دخل في دين الإسلام عدد كبير من الشعوب التي كان السكل منها تراث اجتماعي شرعي . وباتخاذها الإسلام ديناً لها ، قبل أعضاء هذه المجتمعات مبدئياً سلطان القانون الإسلامي . ومما يمكن من شيء فإن من الواضح أنه ليس من السهل القضاء على التراث الاجتماعي المتيقن . وقد كان على زعماء الدين في الإسلام — في الواقع — أن يكافحوا في سبيل توسيع مدى السلطة الأصلية للعقيدة الإسلامي ، ونشره بين هؤلاء الناس .

(١) أسس الفكر الإسلامي .

وخلص المجتمع الذي قد يكون في خطر السوء أرباباً ولكن هذا إجماع متكامل في مجتمع ينظر إلى « الإجماع » كما ينظر إلى التنظيم الطبيعي . ولكن الاختلاف في المعتقدات قد يؤدي إلى الانقسام والقتال ، وهذا هو بيت القصيد . ولقد جرى العرف على أن المجتمع لا يمكن أن يكون ثابتاً غير مزعزع ، إلا إذا كانت الأخلاق شائعة فيه ؛ فنشرها عقيدة دينية صارمة ، ولن تصبح الأخلاق ثابتة راسخة إلا إذا كانت العقيدة الدينية في حرز حريز من المؤثرات المادية للإيمان وخالصة منها ، إذن فليست صيانة الأخلاق بأكثر أهمية من تثبيت المجتمع نفسه ، بل إنها الحالة الوحيدة التي يستطيع أن يتقدم في ظلها المجتمع نحو الطريق المستقيم ؛ مثلاً نحو مرتبة عالية من التكامل الاجتماعي ، وحياة أكثر ملائمة للفرد .

أي أن نوع المجتمع — الذي تشيده الجماعة لنفسها — يعتمد أساساً على معتقداته ، مثل طبيعة الكون وغايته ، ومكانة النفس الإنسانية فيه . وهذا اعتقاد طبيعي يتكرر في الكنيسة أسبوعاً بعد أسبوع . ولكن الإسلام هو الدين الوحيد الذي رى على الدوام إلى تشييد مجتمع على هذا المبدأ ، وكانت المادة الأساسية لهذا الفرض هي القانون . « علم القانون » — على حد تعبير أحد المفسرين المسلمين المشهورين — « هو معرفة الحقوق والواجبات التي تمكن الإنسان من أن يبصر الأحوال الصحيحة في هذه الحياة ، وأن يمد نفسه للعالم الآخر . »

وبعكس الحال في القانون الذي ورثه العالم المسيحي عن روما ، نجد القانون الإسلامي يعنى العلاقات بجميع أنواعها ، مع الله ومع البشر . ويشتمل على أمور كثيرة ، مثل نادية الواجبات الدينية ومنح الصدقات (أداء الزكاة) ، وكذلك النظم الجزائية والمدنية والاقتصادية والسياسية . وهو مجوهره وطبيعته وعمره متعلقان تماماً بالمثل الدينية . والواقع أن الأحكام الخلقية تعنى بالحقائق الظاهرية لفعل وقع أقل من عنايتها بالمواطن والنايات . وإن أي قانون وضعي ينبغي بوجه عام أن يهتم بالحقائق الخارجية . ولكن الروح والقواعد النهائية واحدة في كل ، فكلها يرفض الجدل الذي يرى صحة أفعال بعضها بسبب نتائجها الاجتماعية ، حتى ولو كانت نتائج مرغوباً فيها . وقد تبع ذلك أن القانون

تصحیح تصحیف

وتحویر تحریف

للأستاذ أحمد يوسف نجاتي



كم للتصحيف والتحريف في اللغة العربية من جنائيات على هذه اللغة ! ركم لهما من آثار سيئة في الأدب والتاريخ ! وكم أفسد كلاهما من عبارة ، وشوّه من معنى ، وأوقع في لبس وإبهام ، وترك القارىء يخبط في عشوة وظلام . اطلمت على الكتاب القيم الممتع (ظهر الإسلام) تأليف العلامة المحقق الأستاذ الجليل (أحمد أمين بك) فرأيت في صفحة ١١٧ من الطبعة الثانية منه ما يأتي :

وهذا أبو علي القفال البغدادي ، ضاقت به الحال قبل أن يرحل إلى الأندلس ، حتى اضطر أن يبيع بعض كتبه وهي أعز شيء عنده فباع نسخته من كتاب الجهرة ، وقد كان كافأ بها ،

وقد لا نقوا في هذا الكفاح حفظاً مؤثراً من النجاح ؛ على الرغم من أنه لا تزال هناك جماعات — مثل البربر في شمال غرب أفريقيا — غالبيتها مسلمة في الشهور ، بيد أنها حافظت على قانونها التقليدي أمام كل مجهودات العلماء . وقد أفلح العلماء — إلى حد نجاحهم في فرض القانون الإسلامي — في توحيد المجتمع الإسلامي ؛ إذ أن القانون — كما سبق أن قررنا — كان المول الذي رسخت به الأخلاق الاجتماعية .

على أنه يوجد هنا بعض اختلافات واضجة ينبغي بسطها . فعلى الرغم من أن القانون يشتمل نظرياً ، وحسب طرح العلماء على كل نوع ومظاهر للعلاقات الاجتماعية ، إلا أنه كان هناك « مناطق كثيرة » في حياة الجماعة مجهولة من الناحية العملية . وإن الأوضاع السياسية والحكومية ، وجزءاً كبيراً من سلطات العقوبة ، وممظم التجارة ذات الطاق الواسع ، كل هذه قد وسعت مدى أثرها العملي — حتى ولو كان القانون بأمرها

فاشتراها الشريف المرتضى ، فوجد عليها بخط أبي علي :

أنست بها عشرين حولاً وبعتها فقد طال وجدى بمدها وحنيني وما كانت ظني أننى سأبعتها ولو خلدتني في السجون ديوني ولكن لضعف وانفقار وصيبة صفار عليهم تسهل جفوني فقلت ولم أملك سوا بقى عبدة مقالة مكوى الفؤاد حزين (وقد تخرج الحاجات بألم مالك ردائع من رب بهن ضنين)

وأقول إن هذه الحادثة إنما وقعت لأبي الحسن علي بن أحمد ابن علي القفال . فكنيته أبو الحسن لا أبو علي ، ونسبته القفال (بالفاء الموحدة التي هي من الحروف المهموسة والشفوية ، لا بالالف المثلثة إحدى الحروف المجرورة التي تخرجها بين عكوة اللسان واللهاة في أقصى الفم) وقد ساق هذه الحكاية على صحتها العلامة المؤرخ الثقة الأدب شمس الدين أحمد الشهير بابن خلكان في كتابه الحجة المرفوف باسم (وفيات الأعيان) ، قال رحمه الله تعالى في ترجمة الشريف أبي القاسم المرتضى ما نصه :

وحكى الخطيب أبو زكرياء يحيى (١) بن علي التبريزي اللغوي

(١) يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي المرفوف بالخطيب أحد أئمة اللغة والأدب ولد سنة ٤٢١ وتوفي ببغداد سنة ٥٠٢

مرتبطين — كما حدث أحياناً بأسماءها بواسطة تقليد رسمي . وأنه لحق أنه في هذه المناطق ، وبين الطبقات التي فيها — قد حدثت الشهور بالآثار الأوربية من بادية الأمر ، وانتشر نفوذها . وهذه الحقيقة تذهب بعيداً في تفسير ضعف المقاومة — في المجتمعات الإسلامية ذات الدساتير — أمام إدخال نظم حكومية وتجارية ومدنية مؤسمة على نماذج أوربية . حتى أنه لم يبق ليومنا هذا إلا الملكة السعودية — وإلى حد ما — أفغانستان تسيران على الأوضاع القانونية الإسلامية القديمة . وقد يساعدنا هذا في بيان السبب في أن المجددين الأحرار (إذ أن مكانهم قد أصبحت أرقى من تلك الطبقات التي لم تكن سلطة القانون الديني بينهم مطلقة) سبب وقوف هؤلاء المجددين مواقف عربية — بل نقول حرجية — وديوية — تجاه مسائل في القانون الإسلامي ...

ترجمة

محمد محمد علي

بالبصرة مدة طويلة وسمع بها من أبي عمر بن عبد الواحد الهاشمي وغيره ، وقدم بغداد فاستوطنها وحدث بها ، كتبت عنه شيئاً يسيراً وكان مؤدباً ثقة ، مات في ليلة الجمعة الثامن من ذي القعدة سنة ٤٤٨ هـ ودفن في يوم الجمعة في مقبرة جامع المنصور .
وفي الأنساب للسماني (١) ما يأتي :

(الغالي) بفتح الفاء وفي آخرها اللام ، هذه النسبة إلى قالة قال أبو بكر الخطيب أظنها من بلاد فارس قريبة من أيدج ، والشهور بالنسبة إليها أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن سلك المؤدب الغالي ، سمع بالبصرة القاضي أبا عمر القاسم بن جعفر الهاشمي وأبا الحسن علي بن القاسم التجار وأبا عبد الله أحمد بن إسحق بن حزيان النهاوندي وغيرهم ، أقام ببغداد إلى آخر عمره ، وكان أدبياً شاعراً فاضلاً ، روى عنه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب وأبو الحسن المبارك بن عبد الجبار الطيوري (٢) وغيرهما ذكره أبو بكر الخطيب في التاريخ (الخ) اهـ .

وذكر ترجمته أيضاً يافوت في كتابه معجم الأدباء ، قال : علي بن أحمد بن سلك (الغالي) بالفاء وليس بأبي علي الغالي بالقاف ذلك آخر اسمه لإسماعيل له ترجمة في باب ، وكنية هذا أبو الحسن ، يعرف بالمؤدب من أهل بلدة قالة ، موضع قريب من أيدج ، انتقل إلى البصرة فأقام بها مدة ، وقدم بغداد فاستوطنها ، وكان ثقة ، له معرفة بالأدب والشعر ، ومن شعره قوله :

نصدر للتدريس كل مهوس بليد تسمى بالفقيه المدرس
لحق لأهل العلم أن يمثّلوا بيت قديم شاع في كل مجلس
(لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس)

وعنه ما رواه عنه تلميذه الخطيب التبريزي :

= الكورة وسلطانها يقوم بفقده وهي في وسط الجبال يقع بها تلج كثير
يحمل إلى الأهواز والنواص ومزارعهم على الأمطار .

(من معجم البلدان اليافوت)

(١) عبد الكريم بن محمد ، ولد بمدينة مرو سنة ٥٠٦ هـ وتوفي بها سنة ٥٦٢ هـ

(٢) أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن قاسم الصيرفي البغدادى المحدث ، كان مكثراً ساداً سالماً أميناً ديناً سنياً وفوراً ، توفي أواخر سنة ٥٠٠ هـ (شذرات الذهب)

أن أبا الحسن علي بن أحمد بن علي بن سلك الغالي الأديب كانت له نسخة كتاب الجهرة لابن (١) دريد في غاية الجودة فدعته الحاجة إلى بيعها ، فاشترها الشريف المرتضى أبو القاسم المذكور (٢) بستين ديناراً ونصفها فوجد فيها أبياتاً بخط أبي الحسن الغالي المذكور وهي :

أنت بها عشرين حولاً وبعتها الخ

فأرجع النسخة إليه وترك له الدنانير رحمه الله تعالى . وهذا الغالي منسوب إلى (قالة) بالفاء ، وهي بلدة بخوزستان قريبة من أيدج ، أقام بالبصرة مدة طويلة ، وسمع بها من أبي عمر ابن عبد الواحد الهاشمي (٣) وأبي الحسن بن التجار وشيوخ ذلك الوقت ، وقدم بغداد واستوطنها وحدث بها ، وأما جده سلك فهو بفتح السين المهملة وتشديد اللام وفتحها وبمدها كاف ، هكذا وجدته مقيداً ، ورأيت في موضع آخر بكسر السين وسكون اللام والله أعلم .

وكانت وفاة أبي الحسن الغالي المذكور في ذي القعدة سنة ٤٤٨ هـ ليلة الجمعة ثامن الشهر المذكور ، ودفن في مقبرة جامع المنصور ، وكان أدبياً شاعراً ، روى عنه الخطيب أبو بكر صاحب تاريخ بغداد وأبو الحسن الطيوري وغيرهما رحمه الله تعالى . انتهى من تاريخ ابن خلكان .

(أقول) وقد ترجم له الخطيب البغدادي (٤) في تاريخ بغداد بما يأتي : علي بن أحمد بن علي بن سلك أبو الحسن المؤدب المعروف بالغالي من بلدة تسمى قالة قريبة من أيدج (٥) ، أقام

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن حريد الأزدي العموي البصري الأديب ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ وتوفي ببغداد سنة ٣٢١ هـ

(٢) أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى ، ولد سنة ٣٥٥ هـ وتوفي ببغداد سنة ٤٣٦ هـ

(٣) هو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد ابن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب من أصل البصرة وولى القضاء بها ، وقدم ببغداد سنة ٣٧١ هـ سنة ٣٧٧ هـ ، وكان مولده سنة ٣٢٣ هـ بالبصرة ، وتوفي بها سنة ٤١٤ هـ

(٤) ولد سنة ٣٩٢ هـ وتوفي ببغداد في أواخر سنة ٤٦٣ هـ

(٥) كورة وولد بين خوزستان وأصبهان ، ومراجل معد هذه =

وقد نقل هذه الحكاية صاحب كتاب الفلاحة والفلكيين (١) موجزة وصحف فيها القالي بالقالي ، ومن عبارته :

(القالي) أبو الحسن علي بن أحمد بن علي القالي كانت له نسخة من كتاب الجهرة لابن دريد ، وكان كافأ بها فدعته الحاجة إلى بيعها فباعها فاشترها الشريف المرتضى فوجد فيها أبيتاً بخط يائمه أبي الحسن القالي المذكور :

(أنست بها عشرين حولاً وبعثتها ...) إلى آخر الأبيات كما في كتاب (ظهر الإسلام وروايته) .

ونقل هذه الحكاية أيضاً صاحب شذرات الذهب (٢) في ترجمة الشريف المرتضى نقلاً عن ابن خلكان فسلم من التصحيف ، غير أنه وقع فيه كذلك في ذكره من توفوا سنة ٤٤٨ (وهي سنة وفاة أبي الحسن القالي) فقال : وفيها أبو الحسن (القالي) نسبة إلى قالي فلا من ديار بكر (علي بن أحمد بن علي المؤدب النفعة روى عن أبي عمر الهاشمي وطبقته اهـ . فصحف كما ترى (القالي) إلى (القالي) وزاد من عنده تلك الزيادة الخاطئة التي بين القوسين .

أما أبو علي القالي : فهو إسماعيل بن القاسم بن عبيدون بن هرون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالي اللغوي صاحب كتاب الأمالي المشهور ، ولد سنة ٢٨٨ بمنازجرد من ديار بكر ودخل بغداد سنة ٣٠٥ وأقام بها إلى سنة ٣٢٨ ، ثم خرج منها قاصداً الأندلس ، فدخل مدينة قرطبة في أواخر شهر شعبان سنة ٣٣٠ وتوفي بها سنة ٣٥٦ ، وإنما قيل له (القالي) لأنه سافر إلى بغداد مع أهل قالي فلا فقي عليه الاسم : وهي من أعمال ديار بكر - ومن كل ما تقدم يظهر أن صاحب الحادثة يكنى أبا الحسن لا أبا علي ، وأنه القالي لا القالي ، وأن وفاة أبي علي القالي كانت قبل وفاة أبي الحسن القالي بأثنين وتسمين سنة ، بل توفي القالي قبل مولد القالي ، وأن مولد الشريف المرتضى ببغداد في سنة ٣٤٤ يعني قبل وفاة أبي علي

لما تبدلت المنازل أوجهها غير الذين عهدت من علمائها ورايتها محفوفة بسوى الألى كانوا ولا تصدورها وفنائها أنشدت بيتاً سائراً متقدماً واليمين قد شرقت بجاري مائها (أما الحيسام فإنها تكياهمهم وأرى نساء الحلى غير نساءها) ثم ساق حكاية بيمة كتاب الجهرة نقلاً عن الخطيب التبريزي أيضاً وفيه شيء يخالف ما في ابن خلكان ، قال وحدث أبو زكرياه التبريزي قال : رأيت نسخة من كتاب الجهرة لابن دريد باعها أبو الحسن القالي بخمسة دنانير من القاضي أبي بكر بن بديل التبريزي وجعلها إلى تبريز ، فنسخت أنا منها نسخة فوجدت في بعض المجلدات رقعة بخط القالي فيها :

(أنست بها عشرين حولاً ...) إلى آخر الأبيات .

وأريت القاضي أبا بكر الرقعة والأبيات فتوجع وقال : لو رأيته قبل هذا لرددتها عليه ، وكان القالي قد مات ، اهـ

أقول لعل القالي رحمه الله باع هذه النسخة في صفقة ثانية بعد أن أعادها إليه الشريف المرتضى . والبيت الأخير من أبياته تضمن لما قاله أعرابي باع لحزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام جلاً بخمسين ديناراً ، فلما تقدمه ثمنه جعل الأعرابي ينظر إلى الجمل ويقول :

(وقد تخرج الحاجات بألم مائك كراهم من رب بن ضنين)

فقال له حمزة : خذ جملك ، والدنانير لك ، فأنصرف بجمله وبالدنانير . ومن شعر القالي أيضاً في شهر الصوم :

رى رمضان شملنا بالفرق فيا ليتة عننا تنقضي لفلق إذا سر أهل الأرض طرأ قدمه فإن سرورى بالصلاح الذى بقى رقى معجم البلدان لياقوت ما بأتى :

(قالة) زيادة هاء بعد الفاء والألف واللام بلدة قريبة من أيدج من بلاد خوزستان ، بسبب إليها أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن سلك القالي المؤدب سمع بالبصرة من القاضي أبي عمرو أحمد بن إسحق ابن جرمان وحدث بشيء يسير ، اهـ .

وقال في تاج المروس شرح القاموس : (قالة) بلد بخوزستان قريبة من أيدج منها أبو الحسن علي بن أحمد (بن سليمان) المؤدب روى عن أبي عمر القاسم بن جعفر الهاشمي وغيره ، وروى عنه أبو بكر الخطيب ، وأبو جعفر الطبري ، مات سنة ٤٤٨ هـ .

(١) هو نهال بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عيسى بن هرون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالي اللغوي صاحب كتاب الأمالي المشهور ، ولد سنة ٢٨٨ هـ وقد سبغ هذا الكتاب بصبر وتصنع سنة ١٣٢٢ هـ ولكن - يذكر به بيت مؤلف ولا سنة وفاته (على انقصر عن قوله : أحمد بن علي الخطيب)

(٢) هو أبو الفلاح عبد الله بن الهادي الخليل توفي سنة ٢٠٨٩ هـ

القالى بقرطبة بسنة واحدة . وقد عرفت أنه رد إلى أبي الحسن
القالى عن كتابه كما أعاد إليه كتابه الجوهرة متأثراً بأبياته وكان
كلاهما مقبلاً ببنداد ، وتوفى الشريف بها قبل وفاة أبي الحسن القالى
بها بابتنى عشرة سنة ، على أنه لم يعرف أن أبا على القالى بلغ من
البؤس والقافة إلى أن يبيع نسخة من كتابه الجوهرة ، تأليف
أستاذه ابن دريد التوفى سنة ٣٢١ وكان ذا ثراء واسع ومال جم
وإن كان رحمه الله متلاً مفيداً مبيداً ، ولقد أفاد من بنى ميكال
أموالاً عظيمة ونال منهم ثروة طائلة رحمه الله وعفا عنه .

هذا ومن التحريف أو التصحيف أو خطأ الطبع فى ذلك
الكتاب القيم (ظهر الإسلام) ما فى بيتى ابن المعتز صفحة ٢٦
أما ترى ملك بنى هاشم عاد عزيزاً بعد ما ذلا
يا طالباً للملك كن مثله تستوجب الملك وإلا فلا
واعمل صواب القافية فى البيت الأول (بعد ما ذلا) لأن القصيدة
من بحر السريع من عروضه الأولى الطوية المكسوفة التى
ضربها مثلها على وزن فاعلان ، وعلى ضبط (ذلا) يكون الضرب
فى البيت وحده أصلم (على وزن فعلن) وهو ضرب آخر لهذه
العروض لا يجمع بينهما .

وفى صفحة ٢٢ كتب البيت هكذا :

أيها الترك نلقون للدهر سيوفاً لا نستبل الجريحا
وهو بهذا الشكل والضبط غير مستقيم الوزن ولا مفهوم
المعنى ، والذى فى تاريخ السعوى المنقول عنه :
أيها الترك سوف نلقون للدهر سيوفاً لا نستبل الجريحا
وفى صفحة ٦٩ البيت :

فيردها كأن لها وإن خفيت سنا لم
أظن الصواب (فيرزها) كما يقتضيه السياق ويتطلبه المعنى
وفى صفحة ٨٠ السطر السابع : ليو منكم ضرباً وتشديداً
وأظنها معرفة عن (تشديداً)

وفى صفحة ١٣٦ بيت للشريف الشريف الرضى فى الغزل
فى سوداء :

أحبك يا لون الشباب لأنى رايتك فى العين والقلب يوماً
صوابه : فأنى ، أو لأننى ، زيادة نون الوفاة قبل ياء التكلم
بـ يستقيم الوزن .

وفى صفحة ١٤٠ فى السطر الثانى البيت :

ومتفق مشفق إذا أنا امرفت وبذرت مقتصد
والصواب :

ومتفق مشفق إذا أنا أسـ رفت وبذرت فهو مقتصد
لأن القصيدة من بحر المذرح ولا يستقيم الوزن إلا بذلك
والبيت سطر ٤ :

وصيرنى القريض وزان دنانير المعانى الرقاق منتقد
غير مستقيم الوزن ، وصوابه :

وصيرنى القريض وزان دبنار المعانى الرقاق منتقد
(دبنار) فى البيت مفرد لا جمع وآخر الشطر الأول الياء
منه لا النون ، (والرقاق) فى البيت نعت للمعنى لا للدنانير .
وفى صفحة ١٥٥ بيت أبى العلاء الأمرى :

وما شمراؤكم إلا ذئاب تلصص فى الدأخ والشباب
(أرى) أن (الشباب) مصحفة عن الشباب .

يريد أن كلا من شمراء المديح الذين يكتبون بالمدح
وشمراء الهجاء الذين يتقهم الناس فيفقدون أعراضهم منهم بالمال
إنما هم لصوص يستولون على أموال الناس بغير حق رغبة فى
مديحهم أو رهبة من هجائهم .

وفى صفحة ١٨٤ البيت :

أت إذا جدت ضاحك أبداً وهو إذا جاد بأكي العين
لعل (الصواب دافع العين) يرفع دافع خبر المبتدأ هو .
وفى صفحة ٢١٠ سطر ٤ البيت : هى قلت عن العزى عدا
لعل صوابه : قد أقلت (أو هى أقلت) ضد كثرت فى
عجز البيت .

وفى صفحة ٢٨٧ آخر الصفحة ، البيت من قصيدة البيرونى :
فلا زال لادنيا ولالدين عامراً ولا زال فيها للشواة مواسيا
أرى أن الصواب (للغاة) وهم طلاب المعروف جمع عاف
فليس مما يمدح به المرء أن يكون مواسياً للغواة ، وإنما يواسى
المساوون وطالبو الجدوى .

ثم أقول بعد ذلك : أنه بمناسبة ذكر أبى على القالى اطلعت
على صفحة ٧٤٢ من كتاب (سطح الآلى) فى المجلد الآخر منه
وبعدى على مخرج الجزء الثانى من أمالى أبى على القالى ، للوزير

قراءته يمثل الحياة الاجتماعية في العصر العباسي (وخاصة من الجهة السياسية والاقتصادية) هو كتاب (العصر العباسي) للأستاذ المحقق والمؤرخ الموفق الدقن الدكتور (عبد العزيز الدوري) العراقي أستاذ التاريخ الإسلامي بدار المعلمين العليا ومعهد الملكة عالية العالي بمدينة بغداد وقد طبع منه جزءان قبل أن أحدهما في العصر العباسي الأول ، والآخر في العصر العباسي الثاني ، وإنه ليخدم التاريخ أجل خدمة إذا قدم له الجزء الثالث الذي يمثل بقية العصر العباسي ، وقد رجعت في كتابيه المفيد إلى كثير من المراجع العربية وغير العربية من عدة لغات ، ورجعت من نفسه بمد ذلك إلى عقل ناضج كبير ، وفكر عال صحيح ، وذهن ثاقب جديد ، ورأي قويم سديد . وكذلك أقول إن خير كتاب رأيته في أدب اللغة العربية في عصر صدر الإسلام هو كتاب الأستاذ الدكتور محمد مهدي البصير الذي سماه (عصر القرآن) تكلم فيه على الأدب العربي في صدر الإسلام وعصر بني أمية فأحسن وأجاد ، وأمتع وأفاد ، دل فيه على اطلاع واسع وعلم جم وأدب غزير ، ورد الزائف البهرج وقيل الثمين المصنف ، وكان له فيه رأي صائب وفكر قويم . ولنا في هذا الكتاب وغيره من مؤلفات الدكتور السيد محمد مهدي البصير عودة في مقالات موعدها بالأعداد المقبلة من الرسالة القراء إن شاء الله تعالى .

أحمد يوسف نجاني

أستاذ اللغة العربية والبلاغة والأدب بكلية دار العلوم
وكلية اللغة العربية بمصر سابقاً - والأستاذ الآن بدار
المعلمين العالي ومعهد الملكة عالية العالي بمدينة بغداد

إدارة البلديات - مباني

تقبل المطامات ببلدية بورسميد لقاية
ظهر ٣٠ / ٩ / ٤٨ عن عملية ترميم مبني
عبر الماكينات وتطلب الشروط من البلدية
على ورقة ثمنه فئة ٣٠ ملجم نظير ٣٥٠ ملجم

أبي عبيد البكري المطبوع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م والذي نسخته وصححه وحقق ما فيه الأديب العالم المحقق الأستاذ عبد العزيز اليميني أستاذ اللغة العربية بجامعة عليكرة بالهند ، قرأت في أولها ما يأتي : (وهو من رجز لهيمان بن قحافة مشروح هناك) :
والبسكرات اللقح الفوائجا بصفنة تزني هديراً نايجا
تري اللناديد بها حوايجا

الصفنة : مثل العيبة ، شبه بها شقشقة البعير ، ويقال صنفن فإذا ألحقت الماء فتحت الصاد . (وتزني) : كما تزني الريح شيئاً تسحفه ، ويقال لأحد المدلين إذا استرخى (قد أصبح) يقول فهديره منصب مسترخ (واللناديد) باطن أصول الأذنين (وحوايج) منتفخة ، يريد أن نصف الشقشقة خارج من حلقة ونصفها باق فيه اه . وقد علق حضرة المصحح على قول البكري قد أصبح بقوله في الهامش (١) كذا في الأصلين ، وقد أعيانى أمر تصحيحه اه . أما أنا فأقول إن (أصبح) مصحف عن (استنثج) وإن (نايجا) في الرجز مصحف عن (نايجا) قال في لسان العرب في مادة (نثج) : ويقال لأحد المدلين إذا استرخى قد استنثج ، قال هيمان :

يظل يدعو نيبه الضمايحا بصفنة تزني هديراً نايجا
أي مسترخياً (والله أعلم) اه .

وقال في مادة ضميج (الضميج) الضخمة من النوق ، وامرأة ضميج قصيرة ضخمة ، وكذلك البعير والفرس والأتان ، قال هيمان بن قحافة السعدي :

يظل يدعو نيبها الضمايحا والبسكرات اللقح النوائجا
وأعاد هذا البيت في مادة (فثج) : وناقاة فأنج سمينة حائل
أو هي الفتية اللاقح ، وروى (الفواسج بالسين ، والفاسج من الإبل أيضاً اللاقح أو اللاقح مع سمن ، أو هي الحائل السمينة فهي بمعنى الفأنج بالثاء الثلاثة) .

وبينى أن أعترف بالفضل لحضرة الملامة أحمد أمين بك فإن كتابه (ظهر الإسلام) مرآة صافية ترى فيها بجلاء ووضوح الحياة الاجتماعية والعقلية والأدبية من عهد التوكل إلى آخر القرن الرابع الهجري . ثم أذكر بهذه المناسبة أن خير كتاب

غناء الطيور

بين العلم والأدب

للأستاذ ضياء الدخيلي



فمن شعراء الطبيعة بغذاء الطيور وسحروا بهديلهما وزقزقتهما في السحر وعند الأصيل في الأشجار المتشابكة وعلى الأنهار والسواقي حيث يخرج خريف المياه بهديل الطيور وقد حبث الطبيعة البسانين موسيقاراً لا بكل ولا بمجزء عن توقيع الحانها العذبة ، ولا يفتر عن ترديد أغانيه المشجية والمطربة أحياناً ؛ وقد هام أغلب الشعراء بأغريد الطيور فتركت صدى عميقاً في نفوسهم وخلدوا في مطارحتها روائع ساحرة . وقد زاد ولوعهم بها ما جبلوا عليه من تقديس الجمال والافتتان بالتوافيق الموسيقية فكان كثير من الشعراء العباقرة يجنون إذا جمعتهم ازياض الجانم والطيور المغردة فيطربون لها ويهيمون بحجابها بسحرها الأخاذ ، فيمجر بهم المدين لينهم بقرب الطيور في الرياض المؤتلفة .

من ذلك رأينا هذه الأشعار الكثيرة في دواوين شعراء العرب وكما افتتان بشناء الطيور ، ولم يقتصر عليهم ذلك الهيام بالطبيعة وجمالها الفائق فقد حدث مؤرخو حياة الفيلسوف الإسلامي الكبير أبي نصر الفارابي أنه عند ما سافر من بغداد إلى دمشق كان منفرداً بنفسه لا يجالس الناس ، وكان مدة إقامته بدمشق لا يكون غالباً إلا عند مجتمع ماء أو مشبك رياض ؛ ويؤلف هناك كتبه وينتبه المشتغلون عليه ، وقال في (وضات الجنات) يحكي أن الآلة التي تسمى القانون من وضعه وهو أول من ركبها هذا التركيب ، وهذا يدل على مدى افتتانه بالألحان الموسيقية ، ولعل غناء الطيور أوحى له دروساً فياضة في الموسيقى .

وكما ترى فيما سنفرضه عليك أن هناك اختلافاً بين علماء الحيوان ودعاة نظرية التطور من دارون واتباعه ، وبين شعراء العرب الذي تطعموا في غناء الطيور وفسروه ، كما طهر لهم حسب

أفكارهم إذ يرى علماء الحيوان أن الغناء هو من خصائص ذكور الطيور ، وأن هذه تغرد وتغنى لتجذب الأنثى بهديرها وتغريدها فالأغريد أسلحة أدبية تصول بها الطيور في غمار ممالك غرامية سخابة تمج بالتنافس بين ذكراتها ، والتغالب لاقتناص زوجات يتمنون بالقرب منها وينعمون بالاستئناس بجالها الأنثوى .

وانذكر أن الصحف المصرية نشرت (تصريحاً) للأستاذ الوسيقار محمد عبد الوهاب يتحدث به الأنثى أم كلثوم قائلاً : إن الغناء في عالم الطبيعة من خصائص الذكور ، ولا ريب أن الحق معه من وجهة التاريخ الطبيعي وحقائق علم الحيوان ولكن من الذي يفضل أن يسمع الغناء من رجل خشن على أن يتمتع به من فم فتاة رفيقة نقيض جلالاً وفتنة ، وعلى كل حال فإن علماء التاريخ الطبيعي يقررون أن الغناء ميزة للتفوق ، وسلاح للغلبة واجتذاب الأنثى جهز بهما ذكران الطيور ، وفق نظام السكون المستهدف لإدامة الحياة ، وبقاء النوع وتكثير النسل فهو من جملة المشهيات والمغريات المؤدية إلى تلك الغايات النبيلة .

وقد أخضعت نظرية التطور التي جاء بها العالم الإنجليزي دارون - غناء الطيور وهديلهما لمامل الانتخاب الطبيعي . فقالوا إن خاصة الغناء الجميل التي تتجلى بها بعض الذكور من الطيور تركها تتفوق في معارك الانتخاب التزاوجية لأجل الفوز بالأنثى ويشجعها ذلك الفوز والانتصار على التناسل بكثرة . وهذا يؤدي إلى وفرة ذريتها التي تحمل خصائصها ، ومن جملتها القدرة على أحداث الأصوات الجميلة الفنائية فتشيع هذه الميزة في الأجيال القادمة حسب قانون الوراثة . وإليك بعض كلمات علماء التطور . قرأت في كتاب عن نظرية التطور تأليف العلامة الفرد والاس .

قال تحت عنوان الخصائص الجنسية المسببة بالانتخاب الطبيعي : (علاوة على نسل الذكور بما يمدم للنسل مع الذكور الآخرين توجد بعض الخصائص الجنسية المسببة بالانتخاب الطبيعي وذلك كالأصوات والروائح المختلفة الخاصة بالذكور التي تكون دعاءاً للأنثى أشعاراً لها بحضورهم ، ومن الواضح أن هذه إضافات ذات قيمة في وسائط تمييز الجنسين ، وزيادة على ذلك أنها

حسنه أملس ناعم حررى فيه براقة المعادن الصافية والخلصة أن أغريد الطيور وأغانها حسب الظاهر مذكرات وإشارات ورسائل غرامية مختصرة لإشعار الأنثى بوجود الذكر ولدعوتها إلى التزاوج ، وهذه القابلية للفناء تفيد الفصيلة لأنها ذات علاقة بأهم وأجل وظيفة حيوية ، وهي حفظ النوع بالتناسل .

وقال العالم الطبيعى دارون فى كتابه أصل الأنواع إن المنافسة بين الطيور على امتلاك الأنثى أقل قسوة منها بين الحيوانات التى تعيش على الأرض ؛ وكل من له إلمام بالموضوع على اعتقاد تام أن هذا القتال لا يبلغ منتهى القسوة والشدة إلا بين الأنواع التى تجتذب ذكورها الأنثى بحسن أصواتها الغنائية .

وذكر أن بعض الطيور التى يسكن جزائر (جيانا) وطيور الجنة وغيرها من صنوف الطير قد تجتمع وتتقاتل قتالا عنيفاً ثم تخرج الذكور الفائزة فى المركة وتشر ريشها البهى الزاهى لتجذب إليها الأنثى ، ومن ثم تأخذ فى التضاحك بشكل عجيب والأنثى على كثر ريقها ثم تنتخب ما كان أشد جاذبيةً إليها . وقال باحث آخر إن جمال ذكور الطيور بأصواتها أو ريشها يأمب دوراً عظيماً فى الحب الفسلى ، وأمل للطيور أعظم نصيب من الجمال ، فذلك قلما تتنازع ذكورها بالقتال ، وإنما تعتمد فى الأكثر على فتنة الأنثى بجمال ريشها وألوانه الجميلة ، وبعضها يعتمد على الرقص على الأرض أو فى الهواء وبعضها يعتمد على الزقزقة والمهدبل .

وهكذا تعد الطيور على أعظم جانب من الجمال البصرى والصوتى ولها ذوق عقلى فى الجمال كالإنسان تقريباً ، ولذلك يطرب الإنسان بزقزقة المصافير ومهدبل الطيور ، ويسكن الطيور الفنية قد تلجئ إلى المراك للفوز بالأنثى .

فقد روى العلامة دارون أن نوعاً من الطيور فى الولايات المتحدة يجتمع نحو عشرين من ذكوره فى بقعة حيث تتنافس بالزقزقة ، وحالاً تميل الأنثى للذكر تفتسل الذكور ، والأضعف يحيد عن القتال ، حتى إذا لم يبق إلا واحد ذهب الأنثى معه . وقد بدأت مسألة الانتخاب عند الطيور حدّاً فصيحاً حتى أن بعضها

إشمار بحلول فصل التزاوج . ومن الواضح أن توليد وتفریق هذه الأصوات والروائح هما ضمن نطاق قدرة الانتخاب الطبيعى ، والتمييز بين الجنسين من فصائل الطيور ، ولإغراء ذكراتها للأنثى ، وتشجيعها للسفاد .

وعند ما انتشرت أفراد فصائل الطيور بصورة واسعة على وجه الأرض أصبح هذا الدعاء فى غاية الأهمية لجمال التزاوج يقع بصورة مبكرة ويسرع به ما أمكن .

وهكذا قد أصبح وضوح وعلو وتميز شخصية غناء الطائر خاصة نافذة ، وبالنتيجة يتحقق الانتخاب الطبيعى (أى أن الطائر الذى توجد فيه هذه الخاصة النافذة يكثر نسله فتشيع هذه البنية الصوتية فى الأجيال التالية وفق نظرية التطور والوراثة) وهذا هو الواقع خاصة بالنسبة لطائر القوق Cukoo ومع كل الطيور التى تعيش منفردة .

ولا شك أن صنيع الغناء عمل مبهج وجالب للسرور ، وربما استخدمه الطير كمنفذ للفائض الزائد من الطاقة العصبية والتمهيج النفسى ، على حد ما يقوم به الإنسان من الرقص والغناء ، والألعاب الرياضية المسلية . وهذا التمايل لغناء الطيور يرى أن رياضة القوة الصوتية مكتملة لتطور الريش الثانوى الذى ليس له أهمية أساسية فى الطيران ، ومتممة لخارف الزينة والتجمل فى الطيور .

ويلاحظ المؤلف (Alfred Russel wallace الفرد روسل والاس) أن كل طيورهم البديمة الغناء بسيطة اللون ، وليس لها عرف ولا يوجد فى رقابها أو ذيلها من ريش التباهى ، والظهور يظهر قاتم جذاب ، فى حين أن الطيور المزخرفة ذات الجمال الزاهى فى المناطق الاستوائية ليس لها المقدرة على الغناء ، وتلك التى تصرف طاقة كبرى لتتبرج وتزهى بالريش الجميل تطورت أصواتها تطوراً طفيفاً لا يذكر إذا قسناها بالطيور الأخرى . وخذ مثلاً لذلك الديك الرومى ، والطاووس ، والطائر الطنان ، وطيور الجنة وهذه فصيلة من طيور غينيا الجديدة وما يحاورها من الجزائر .

وتشتهر طيور الجنة بجمال ريشها وبهاء ألوانها ، ولا يمتاز بهاء اللون وحسن الريش إلا الذكور ، وريش الذكور على

بدية الألوان رشيقة الصور فلتست أرى مانما يحول دون القول بأن أناته إذا انتخبت خلال آلاف من الأجيال أشجى الذكور صوتا وأحسنها شكلا وفاق ما يلوح منها من ممانى الجمال قد يحتمل أن يحدث فيها تأثيرات من التغير ذات بال .

غير أن دائرة المعارف البريطانية تجعل من أسباب الغناء رغبة الطائر أن يشمر باقي الطيور بوجوده في المنطقة التي يفرد فيها وبذلك لا يقرب إليه ما يراجه على ما فيها من المواد الغذائية (راجع تفصيل ذلك في مادة Bird) .

وهذا حديث يطول ، إنما الذى وددت أن أقرره رأى علماء الحيوان في تحليل تفريد الطيور بأنه لأغراء الأنثى وجلبها إلى السفاد ودعوتها إليه وأنه إعلان بمجيء فصل التزاوج وإن الأغاريد منازل غرامية ، وإذا كانت أغاني الطيور أحابيل لصيد الأنثى ووسائل إغراء وإقناع في غمار معارك غرامية كما بين دارون واللاس وإخوانهما من علماء الحيوان وأفاد أن هديل الطيور شبك صيد ينصبها الهياج الجنسي فلا تلم عشاق الشعراء إذا تهيجوا وأصباهم الحمام بهدله لأنه ضرب على وترهم الحساس ونطق بلغة قلوبهم الوحى فأنارهم وهيج إحساسهم وإن لم يعرفوا كيف تساطت تلك الأغاريد عليهم .

قال بعض الأعراب أنشدته اسحق الموصلى .

ألا قاتل الله الحمامة غدوة^(١) على الفصن ماذا يجب حين غنت
تغنت بصوت أعجمى فهيجت

من الوجد^(٢) ما كانت ضلوعى أجنت^(٣)
فلو قطرت^(٤) عين امرئ من صبابة

دما قطرت عيني دما فأت^(٥)

فما سكنت حتى أويت لصوتها وقلت ترى هذى الحمامة جنت ؟
ولى زفرات لويدهم فتلنى بشوق إلى نأى التى قد نوت

(البقية في العدد القادم) ضياء الرمبلى

لا يتزوج لأن الأنثى لم يرقها ذكر من الذكور التى تنافست في إغرائها وإثارة عواطفها .

وروى (جور) أن منازلة الطيور تستغرق وقتا طويلا وقد ينقضى الفصل كله ولا تنجح الذكور والأنثى في إثارة الحب فلا تتزوج .

وابعض الطيور حب مبرح بحيث إذا فقد إلهه حزن عليه طويلا ذكر دارون أن ذكر الببغاء وأثناء يتعاشقان ويتلازمان طويلا حتى إذا مات أحدهما أسف الآخر عليه أسفا شديدا ، وإذا قضى أحدهما بقى الآخر مدة طويلة ينادى نداء محزنا .

وللحمام أيضا ألفة قوية كألغة البشر ، فقد لوحظ أن زوجى حمام عادا إلى عشرتهم بعد فراق تسعة أشهر متذكرا كل منهما الآخر . وكثير من الطيور يختار إناثه الذكر الذى تحبه دون سائر الذكور من غير أن تتنازعها الذكور بقتال .

فقد روى (أودوبون) الذى قضى ردها من الزمن في أحراج الولايات المتحدة بدرس طبائع الطيور أن الأنثى لا تقبل على أى ذكر يمرض لها بل تقتضد جدا في اختيار عريسها وترقب منازلة كل ذكر حتى يروق لها واحد فتذهب معه . وكل ذلك يدلك على أن للطيور ذوقا حادا في تمييز الجمال والإعجاب والانفعال به كما أن لها قوة غريزية في التفنن بالمنازلة .

وهذا الذوق المجيب الذى يضاهى ذوق الإنسان هو علة ارتقاء الجمال الصوتى والنظري في الطيور كما علله دارون بسنة الانتخاب الطبيعى والتناسلى إذ الذكر الأجل شكلا أو صوتا ينجح في المزاوجة ، والأقل جمالا يفشل ، ذلك يكون له نسل وهذا ينقطع نسله ، وبفعل ناموس الوراثة تتجه السلالة إلى إنتاج الأجل .

قال دارون ولا يشك أحد من لاحقا أن أنواع الطير حال أسرها واعتزلها مركزها الطبيعى المطلق فإنها تفضل بعض الأفراد على بعض ، فإن السير (ر . هيرن) قد وصف كيف أن طاووسا مرقشا قد اجتذب إليه كل الأنثى وتفردها .

وإنه وإن كان لا يتسنى لى الإفاضة في هذا الموضوع فإن على يقين بأن الإنسان إذا استطاع أن يحسن في وقت قصير أنواع (البنظام) وهو ضرب من الدجاج الداجن — بحيث يجعلها

(١) "المدونة من بيت الفجر وضوء الشمس .

(٢) الحبة الشديدة .

(٣) أخفت (٤) فطر الماء سال وجرى فطرة فطرة .

(٥) رعا تستعمل الم بمعنى كاد نحو الم بفعل كذا أى كاد .

طرائف من العصر المملوكي :

العلاقات الاخوانية وصلتها بالأدب

للأستاذ محمود رزق سليم



زعة الأدب في نفس الأديب المطبوع ، أشبه شئ بالفريزة الإنسانية . فهي قوة كامنة فيها ، تتحرك من تلقاء نفسها ، وتقوم بعملها الحيوي في حياة الأديب . فتقرأ وتستقرئ وتطلع وتصفح ، وتخزن وتقرئ ، وتمزج ثم تلد وتصور وتلون ، ونهب لأجنتها ما تشاء لها مقدرتها من أسباب القوة والبقاء . ثم تدفع بتأجها إلى اللسان فينفثه سحراً حللاً ، أو إلى القلم فيبعثه زهراً وضيقاً ، ترى من خلاله حياة نابضة ، وروحاً متحركة ، تلعب دورها ، وتؤثر أثرها .

والفريزة بحاجة إلى التربية والتهذيب والتنقيف ، حتى توجه إلى خير السبل لإسماد الرء وإسماد مجتمعه . ولا يبعد عنها في ذلك ، زعة الأدب ، فهي بحاجة إلى أن تتمهدها يد التربية والتهذيب والتنقيف ، وإلى أن يسلك بها مسالك ثقافية خاصة ، حتى تفره وتحقق ، ويتسع أمامها المدى ويرحب ألقها ، ويلطف حسها ويدق إدراكها . وكلما كان الأديب أكثر من غيره ثقافة ، اتسع رحله ، وسما إنجابها ، وأشرق وأمتع فنه .

غير أن الزعة الأدبية ، مهما كانت طاعية باغية ، ثائرة فائرة ، يقطعة ساهرة ، قد يصيبها العثور وينشأ الفتور ، فيخبو زلدها ، ويكبر جوادها ، ويتطامن إنتاجها ، وتقل الروعة في قلبها . حتى تتاح لها منشاطات تنهض راكدها ، وتنبه راقدها . وتثير فيها من جديد مظاهر الحياة الصحيحة والحركة . ولعل هذه الداحية أقوى وجوه الشبه بينها وبين الفريزة ، إذ لولا ما يمرض للفريزة من مشيرات ودواع ، لماتت ألواناً من الكتب ، قد تقضى بها إلى الموت .

وتتشبه الزعة لأدبية — ككل كائن حي — بأسباب بقاءها . وقد درجت الطبيعة على أن تبدل لها بين الحين والحين ، من أسباب البقاء ما يذكى فيها عوامل الأمل والرجاء . وحينذاك

تندفع في طريقها جادة نشيطة مجاهدة مجالدة ، حتى تؤدي رسالتها في الحياة .

وتد درجنا ، ونحن ندرس تاريخ الأدب العربي ، على أن نسمع بين الآن والآن ، بفروب من التشجيع — أو قل بالوان من أسباب البقاء — تتاح للزعات الأدبية ؛ فن عطية أمير ، إلى منحة وزير ، إلى ثقافة حافلة إلى آذان صاغية وقلوب واعية ، إلى حوافز من صداقات ومودات ، إلى غير ذلك .

والملاقات الإنسانية كانت وما تزال ، ذات أثر بعيد المدى ، في حياة الزعات الأدبية . فالأدب لا يعيش في الدنيا وحيداً . حتى ولو آثر العزلة ، لجميع ما حوله ومن حوله ، ذو أثر فعال في حياته وإنجازاته ، وعواطفه وانفعالاته . ومن أوثق هذه العلاقات ، العلاقات الإخوانية .

ونمى بالملاقات الإخوانية ، صلات الود وشائج الصداقة بين الأنداد والنظراء . وهي من الدوامل الدائمة المشتركة بين كل المصور الأدبية ، ومن مسمرات زعاتها ، وحافزات روحها ، وموجهاتها . وهي بتأثيرها في الناحية الأدبية ، بحاجة إلى دراسة مستقلة خاصة مستفيضة ، تلمسها في كل عصورها ، وتبرز آثارها في كل عصر منها ، وتوازن بين آثارها في عصر وعصر ، وتوازن بين آثارها وآثار غيرها من الدوامل .

ولعل العلاقات الإخوانية أقوى أثراً في الزعات الأدبية ، وأبعد توجيهاً لها في العصر المملوكي ، بالقياس إلى غيرها من عوامل النهوض الأدبي فيه . ففي العصر المذكور قلت عوامل التشجيع وأسباب الحفز الأدبي ، في مجلتها ، بالنسبة إلى ما سبقه من المصور . واتجه الكثير منها إلى الحركة العلمية البحتة ، لجذب بغيرها ومد في بقاءها ، وهما لها أسباب الحياة والنمو . أما الحركة الأدبية فقد نالها منها سبابة بسيرة ، ونمالة متوارية ، لا تبث نشوة ولا تهر عطفاً . لقد صوحت عوامل التشجيع الأدبي ، وبس عودها وذبل زهرها ، وأصبحت لا تهر عينا . فلأنوق هرم ، أو عصفير بني جفنة ، ولا دنانير هشام أو بدر الرشيد ، ولا مجالس المأمون أو محافل النوكل ، ولا أروحية بني حمدان أو ذهب المبيدين ، بعفوية جنان شاعر ، أو بحرية لسان نائر في هذا العصر .

وككل كائن حي ، أخذت الزعات الأدبية فيه ، تلمس لنفسها أسباباً أخرى من أسباب البقاء . فصادفتها العلاقات

الإخوانية ، فأنخذت منها إلى الحياة سبيلاً ، وإلى البقاء وسيلة .
ونشئت بها أو اصطانتها أداة لمعالجة عملها وإبراز فنّها . والفن
هنا قد تنقصه الدقة ويخطئه العمق ، ولكن لا تنقصه الصراحة
ولا يحافيه الصدق . إذ هو نتيجة علاقات قلبية ، ورجع مودات
نفسية ، لا حاجة بها إلى الزيف والتلفيق .

وقد ظلت الكثيرين من أدباء العصر المملوكي رايات المودة
والصحبة الحسنة ، فماشوا إخواناً متحايين في الأدب ، يسمد
أحدهم الآخر كما يسمد الغريب الغريب . وقد نوهنا في بعض
مقالاتنا السابقة بنىء من هذه العلاقات ، وآثارها ، كملاقات
السبعة الشهب . وصحبة الجزار والوراق .

وقد روى صاحب فوات الوفيات أن الأديب كمال الدين
بن العديم كان إذا قدم مصر يلزمه أبو الحسين الجزار . حتى
كانت هذه الملازمة مثاراً لتندر بعض أهل العصر عليهما ، فقال ،
وفيه تورية :

يا ابن العديم عدت كل فضيلة وغدوت تحمل راية الإديار
ما إن رأيت ولا سمعت بعثلها نفس تلذ بصحبة الجزار
وبهذه الصحبة فتح الأدباء مغالق أبواب أدبية واسعة ،
ما بين منشور ومنظوم . وأكثر الشعراء من التهانى والتمازى ،
والتشوق والحنين ، والماتية . وتقارضوا النساء ، وأفاضوا في
الممارضات والطارحات والساءلات ، وجدوا في الماهجة والمفاكمة
واللاغزة والمحاجة ، ونهضوا للاجازه والاستدعاء ، إلى غير ذلك .
والحق أن الشعر - بحاسة - قد ظنت به حينذاك الظنون ،
وأرجف الناس من حوله . حتى إن بعض أهله أوخس خيفة ،
فتموا عليه ، وندبوا أنفهم ، وشكوا كساده ، وفضلوا عليه
الحرف الدنيا . وهذا أبو الحسين الجزار المعري الشاعر ، يقول
- وقد هجر الشعر والتكسب به ، واحترف الحرارة :

كيف لا أشكر الجزارة ماء شت حفاظاً وأرفض الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجو نبي وبالشعر كنت أرجو الكلابا
ولعل أبانهم رد عليه ، وهو رد يؤيدنا في أن الشعر ربح في
هذا العصر حياة فيها صراحة وصدق ، قول ابن الوردي :

قالوا لقد كسد الغريب فقلت بل عانت ضراغمه ومات ضباؤه
الآن طالب سماعه وتنظمت أظلامه وتمززت صناعه

نقول إن العلاقات الإخوانية كانت خير معين للشعراء على
إبراز شاعريتهم دون زيف ، وإظهار فهم دون تلفيق . فكان
صدى انفضوسهم وصراة لحوادثهم . وقد حدث صاحب مسالك
الأبصار عن أبي الحسين الجزار المعري السابق ذكره ، فقال :
« حكى أن السراج الوراق وأبا الحسين الجزار ، خرجا في
عهد صباها ، والشباب أعقد حباها ، يريدان النزعة . فوجدا
غلاماً زامراً ، يتمنى منه اللقاء ، ويجتمع فيه الفصن والورقاء .
يتلفت بصفحة القمر النير . ويطرب كأغما زمرة مما أوتى آل
داود من الزامير . فلفتهما إليهما الأمر . وظنا أنه ستليه لهما الخمر .
فأتيا به دير شمران وصعدا إليه . فوجدا راهباً يصدع حبه الفؤاد .
ويطلع قره ولا شيء أحسن منه في ذلك السواد . فزاد سرورهما
بحصول الزامر والراهب . وأيقنا ببلوغ المآرب . فلما حيت فيهما
سورة الجيا . وظن كل منهما أنه قد حصل له فراشه ونهيسا .
فطن الزامر والراهب لمرادهما ، فتركاها ومضيا قبل التمام ،
وتركاها وكل واحد منهما يشكو ضجيجاً لا ينام . فقال السراج :

في نخسك لم يقع الطائر لا راهب الدير ولا الزامر
فقال أبو الحسين الجزار :

فسمدنا ليس له أول ونحسنا ليس له آخر
فقال السراج :

فالقلب في إثرهما هائم
فقال الجزار مكملًا :

والقلب من أجلها حائر »

وفي هذه القصة ما يسود حياة هذين اللاجئين ، وهما
مثل كثيرهما أو لكثير غيرهما من أدباء العصر .

ويقرب من هذه الحادثة ما رواه صاحب فوات الوفيات قال :
« حكى أن نور الدين علي بن سعيد المغربي صاحب المرقص
والطرب ، مرهم جماعة من الأدباء بالديار المصرية ، ومنهم
أبو الحسين الجزار ، فمروا في طريقهم بعلج نائم تحب شجرة ،
وقد هب الهواء فكشف ثيابه عنه . فقال أبو الحسين الجزار ،
فمروا لينظّم كل واحد منا في هذا شيئاً . فلبثوا حتى قال
نور الدين علي بن سعيد :

الريح أقود ما تكون لأنها تبتدى خبايا الردف والأعنان

وتميل بالأعصان عند هبوبها حتى تقبل أوجه الغدران
فلذلك المشاق يتخذونها رسلا إلى الأحباب والأوطان
فقال السراج الوراق :

ما أعلم أن أحدا منا يأتي بمثل هذا . سيروا بنا . «

تقول : وهذه مطارحة لم تتم أدوارها ، ومباراة لم تبلغ مداها
وقد نظم صاحب فخر الدين بن مكاس قصيدة طريفة
فكاهية ، دأب بها صديقه الأديب الشيخ بدر الدين البشتكي ،
ووصفه فيها يوم « أنس الهامل » ، وكان الشيخ بدر الدين في
اليوم المذكور قد وضع نفسه موضع الثور من الساقية وداربها ،
فقال ابن مكاس :

دورة البدر في سواق الهامل تركت أدمع العيون هوامل
آه من للرياض نور أديب مظهر من كلامه سحر بابل
فاق سميكا على بني عجل في الجو دوأغنى عن الولي الهامل
وقد مزج ابن مكاس في أبياته بين ألفاظ الرياض والرى
والإماء ، وألفاظ الأدب والشعر مزجا لطيفا ، واستمرار من إحداها
للأخرى ، ووصف الرياض خلال ذلك ، وما فيها من أزهار
وأعصان ، مع تورات جميلة ، وتلميحات بارعة ، تناسب الموضوع
فمن أبياته يخاطب صديقه :

يا سميدا أترى من النظم والند ر فأنسى الورى زمان الفاضل
قد سميت الرياض يا شيخ بالدو رفها غصنها من السكر مائل
وقوله :

وغدا بالظلال كل أديب في هجير الرضا بفضل قائل
وبروح عيون ترجس روض تفتح المين بالندى وتنازل
أنت شفتها بشمرك زهرا وبشت المياه فيها خلاخل
وقوله :

أنت لو لم تكن بحار علوم ماجرت في الرياض منك جداول
أنت عندي أجل قدرا من النور ر - وقد درت - لوجود الحامل
وغدا الفن بين انظك والور بض على الخائنين عندك باقل
ومن الإخوانيات ما تبادلته منى الدين الحلى ، وجمال الدين
بن نيانة ، من شعر تماتيا فيه وتعارسا التناء ، فقد أرسل سقى
لدين إلى صديقه قصيدة في هذا المعنى ، قال في مطلعها :

من لعب أدنى اليماد وفاته إذ عداه وصل الحبيب وفاته
فانه من لسا الأجابة عيش كان يحشى قبل الوفاة وفاته

كان نبشاً قبل التفرق لكن زعزت روعة الفراق نباته
ومنها يقول :

كنت مستنصراً بأسيايف مسيرى

فتبت بمد فرقة ابن نيانة
فاضل ألف الفصاحة والد لم وضمت آراؤه أشناته
رب شمر لم يبيع ما روى النا وون لكن بالفضل يهدى غوانه الخ
وقد أجابه ابن نيانة بقصيدة طلية في المعنى ، ومن البحر
والروى ، قال في مطلعها شاكيا متنزلا في رقة :

ما لظي الحى إليه التفاته بعدما كدر الشيب حياته
لحج بالمورى وإن نقرت أيدى الليالى غزاله ومهاته
كلما قيل قد سلا عن فتاة عاده الحب فاستجد فتاته
ومنها :

بأبي قاتر اللحاظ غرير رام تشبيهه الغزال قفاته
سائل الحسن إن رنا وثنى سل أسيافه وهز قفاته
ومنها يخاطبه :

يا مفيد الورى لآلى بحر يعرف الذوق عذبه وفراته
وصل العبد من قريضك بر سر أحبابه وساء عداته .. الخ
وعلى ذكر ابن نيانة نقول إنه كان قد وقع بينه وبين صديقه
صلاح الدين الصفدى جفاء ، ولعل ذلك بسبب مركات الصفدى
الشعرية من ابن نيانة ، والتي جمعها ابن نيانة في كتابه « خبز
الشمير » . فتماتيا عتابا شمريا قاسيا ، وقد ضمن كل منهما
قصيدته إعجازاً من معلقة امرئ القيس ، وملكها في نظمه
مع توافق في المعانى ، حتى لكأها أصيلة فيه .
قال الصفدى :

أنى كل يوم منك تب يسوفنى كجود صخر حطه السيل من عل
وترى على طول المدى متجنيا بسهميك فى أعشار قلب مقتل
فأسى بليل طال جنح ظلامه على بأنواع الموم ليلتى . الخ
فقال ابن نيانة متقبلا صالحاً :

فطمت ولأنى ثم أقبلت عاتيا أقام مهلا بعض هذا التدا
بروحى الفاظ تمرض عتها تمرض أضاء الوشاح المفضل
فأحييت ودأ كان كالرم عافيا بسقط الأذى بين الدخول لحوم
تغنى رباح المدر منك رقومه لانسجها من جنوب وشمال الخ

وقد بحث الصفدى بعد حين إلى ابن نباتة يستعجزه رواية آثاره الأدبية ، فأجازته ابن نباتة وكتب له « إجازة » بمباراة أدبية هي نموذج لنثر هذا العصر .

ومن يقرأ كتاب « الحان الواجم » للصفدى ، يجد فيه نماذج عدة للاخوانيات الشعرية في عصره . ودواوين الشعراء فيه ملأى بهذا الضرب الشعرى .

ومما يذكر أن الصحبة كانت قد عقدت أواصرها بين ناصر الدين بن البارزى أحد كتاب العصر البارزى ، وابن حجة الحموى الشاعر الكاتب الناقد . وروحى من ابن البارزى نظم ابن حجة بديعته في مدح الرسول عليه السلام . وأبرز في أبياتها ألواناً عدة من البديع ، وعارض بها بديعته عز الدين الوصلى والصفى الحلى . وكان كلما نظم بيتاً قرأه على صديقه ابن البارزى

حتى يصير صالحاً . ولما انتهى ابن حجة من نظم بديعته ، شرحها ووازن بينها وبين بديعته الوصلى والحلى ، دارساً أنواع البديع مستشهداً عليها بكلام المتقدمين من نثر ونظم ، موازناً بينها أيضاً ، مبيناً مذهب البعض في البديع ، متكلماً عن شعراء عصره وأدبائه ومذاهبهم فيه أيضاً ، وهكذا نرى أن ابن حجة قد ألف كتاباً متمماً فيه علم وأدب وتاريخ ونقد ، وهو « خزانة الأدب » .

وبعد فاملنا بهذا الحديث الموجز ، وبهذه الحوادث المقتضية ألعنا إلى الدور الهام الذى أدته العلاقات الإخوانية على مسرح الأدب في العصر المملوكى .

نحور رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

(الاسكندرية)

مبداىء فى القضااء الشرعى

الأستاذ الزين القاضى

كتاب يفيد القاضى والمتقاضى والمحامى والفقير

يطلب من دار الرسالة بالقاهرة

وتمه ٢٠ قرشاً عدا البريد

من الدرجة السادسة بقسم الجغرافيا بها
ويشترط فى المرشح أن يكون حاصلاً على
درجة الليسانس المتارة من قسم الجغرافيا
بكلية الآداب أو على درجة الليسانس العادية
بتقدير جيد جداً على الأقل

وتقدم الطلبات فى موعد لا يتجاوز

١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٨

باسم حضرة صاحب العزة عميد كلية

الآداب - وصحاً بها المؤهلات الدراسية

وجميع ما يتعلق بالمطالب تفصيلاً ٤٧

من الخارج عطاء عن ورق لطبعة الجامعة
وكل عطاء يقدم على غير الاستهارة مخنومة
أو غير مصحوب بتأبين ابتدائى قدره ٢٠٪
من قيمته لا ينتفت إليه ١١٦

جامعة فؤاد الأول

كلية الآداب

تعلن كلية الآداب بجامعة فؤاد

الأول عن حاجتها للوظيفة ميعدين

جامعة فؤاد الأول

إدارة التوريدات

قلم المشتريات - إعلان

تعلن جامعة فؤاد الأول عن مناقصة
عامة لتوريد ورق مطلوب لطبعتها وتقديم
المطامات باسم حضرة صاحب العزة
سكرتير عام جامعة فؤاد الأول بمحافظ
الأورمان بالجيزة على استهارة مخنومة بخاتم
الجامعة تطلب من إدارتها بالجيزة على ورقة
تمه من فئة ٣٠ ملياً نظير دفع مبلغ ٢٠٠
مليم مائتى مليم عن كل نسخة وذلك ما
بين الساعة التاسعة صباحاً والثانية عشر
ظهراً من كل يوم من أيام العمل الرسمية
وأخر ميعاد لتقديم المطامات هو الساعة
العاشرة صباحاً من يوم الاثنين الموافق
١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٨ ويكتب على الظرف

يا بنت وايزمان . . .

للاستاذ ابراهيم الوائلي

أبناء يثرب والفراة وجلق
الذائدين من الديار غزاتها
والفائلين إذا استنيرت عزمة
للأرض يا ذات الشوامخ ميدي

يا بنت « وايزمان » أية قصة
وخرافة المصر الحديث أماراوا
هم قهقهة وانفجرت من أفواههم
ماذا لإسرائيل يالك نبأ
قد لفتتك عصاية متبودة
وتمهدتك عصائب أمثالها
الزمرة العجل الجوف يبتنى
أم للذين تعاهدوا وتحالفوا
النادرين وتلك أم طباءهم
اسكنه القرب المدل رأيه
الستمر بقوة ما شوهت
والحاكم العاني ، ورب مسلط
فاذا المدالة قهقهات مرديد
وإذا الضمير العالي مطية

يا حاقدين تذكروا نار يحكم
أيام كان الموت يجثم فوقكم
والأرعن الجبون يشمل زيتها

في الأرض ، في الأجواء ، فوق البيد
بيدي مفيت في الخطوب نجيد
لولا من رء ولا تضعيد
جبلوا على غدر وكذب وعود
أوطاننا بسلاسل وقيود
غلا ولا تقموا حشا المفشود
منه الرمال دماً ، والف شهيد
في المغرب الأقصى وكل صعيد
ما بين آفاق وبين طريد
نجيا بلا كدر ولا تمكيد

ماذا وراك يا رمال البيد
دوى القضاء فأى حشد زاحف
دنيا من التاريخ ربع جلالها
وتحفزت فإذا السرايا طلع
هبت فاية أمه لم ينفها
وتفجرت حمى فذوق بأسها
وتفاهلى بالنحس يا مولودة
في التيه كن أبوك يفتش الحما
ويعيش في دنيا الظلام ، ولم يكن
وأيت أنت ، وما ضحكت لحادث

يا بنت « وايزمان » أى برائش
هذا المشرذ في المفاز هل له
قذات به الآفاق شر مطارد
واستطعم البلد الكريم ثار أى
فاذا به يسمى ليصبح سيبدأ

يا بنت « وايزمان » لم أر طفلة
ولدتك في مهد الجحيم سياسة
هذى القنابل وهى تطار نرة
والدفع الضخم المجلجل صوته
والزاحفون عليك في هبواتهم
والطائرات تشق آفاق الدجى
وافتك أحنى من عواطف مرضع
وأنتك من شتى الجهات أمانل
فترقبى سيل الكتاب عارماً
واستقبلى زمر الجنود تلاحت
من كل خواض الدماء إذا انتفى

الدور والفتنة في الكسوع

الأستاذ عباس خضر

كرسى شوقي :

« ما هداني البحث إلا إلى رجل واحد اجتمع له كل ما يراد من صفات ، هو الأستاذ أحمد حسن الزيات ، فهو قد اشتغل طويلا بتدريس الأدب العربي في مصر وخارجها ، وله بشوق معرفة ، وهو أديب كبير ذواقة للشعر والنثر ، حام وحارس للبلاغة ، ومؤلف تاريخ الأدب العربي في مجلدات لا تحلو منها مدرسة ولا يستغنى عنها مدرس ، وله بعد من طول الباع ورسوخ القدم ، والرغبة في البحث والدأب على الاستقصاء ، ما يجعل لهذا الكرسي قدراً وبكفلاً له مقاماً في المحيط الفكري والأدبي في مصر والبلاد العربية . »

وهذا الذي يشير به الأستاذ الحكيم من اختيار أستاذ من خارج الجامعة لم يحدث بعد عندنا ، فلا تزال الجامعة قاصرة أمرها على أسانذتها ، ولست أدري هل فكرت في الانتفاع بأعلام الأسانذة « غير الرسميين » أو لم تخطر لها هذه الفكرة بعد ؟ والواقع أن هؤلاء الأعلام أسانذة في جامعة ليس لها مكان محدود ولا نظام موضوع .

وهي تضم طلبة من خريجي الجامعات الرسمية النظامية وغيرهم ، وهم يبايعون فيها ما توجه إليه الجامعات والمعاهد ... وسم هذه الجامعة إن شئت بما تشاء من الأسماء ، وحسبي أن أقول إن أسانذتها هم هؤلاء الأعلام الذين يقرؤهم الناس في الكتب والصحف والمجلات .

وهل تقبل الجامعة الرسمية أن تتعاون مع هذه الجامعة التي قدمت صفاتها دون تسميتها ، فتندب بعض أسانذتها ولو على سبيل « التطعيم » لكرسى شوقي ولغيره ... ؟

أما كرسى شوقي فالأليق به خاصة أستاذ من خارج الجامعة ، لأن شوقي نفسه من خارجها ، وقد كان من أسانذة « الجامعة العامة » إن رافك هذا الاسم ... فن التناسق أن يكون أستاذ كرسية من لونه .

اللغة العربية في هيئة الأمم :

أذاعت وكالة الأنباء العربية من لندن أن الأوساط العربية هناك لم تقابل بالارتياح النبأ الوارد من القاهرة بأن الدول العربية ستطلب قبول اللغة العربية لغة رسمية في هيئة الأمم المتحدة .

كتب الأستاذ توفيق الحكيم في العدد الأخير من « أخيار اليوم » مقالاً بعنوان « كرسى شوقي » بين فيه أهمية إنشاء كرسى في الجامعة للمنفور له أحمد شوقي بك ، واستحث أولى الأمر أن ينفذوا القرار القاضى بإنشاء هذا الكرسي في جامعة فؤاد والذي آخذ من قبل ولم ينفذ إلى الآن . ثم تساءل عمن يصلح للتميين في هذا الكرسي ، ورأى « أن الاختيار يجب أن يكون في نطاق أسانذة من خارج الجامعة ، لما في هذا الكرسي من لون خاص يحتاج إلى أسلوب خاص في البحث والتدريس » ثم قال :

فإذا الختالة في الظلام يقودها للخرى كل مبدعهم رعيديد
وإذا الخناجر لم تجد غمداً سوى أحشاء مرشعة ونحر وليد
وب « دبر ياسين » وأى جريمة كان الجزاء لها به « دبر سيفيد »
وحشية لو أنها من غلب هانت ولكن من أكف قروود

يا مشرق التاريخ لست بمشرق أضى على التاريخ كل عتيد
إن لم نثر كائنات شب ضرامها وتضاءلت حمراء بعد خمود
ونهب كالريح القصبوب نذفت واستيقظت موجاء بعد ركود
فالصمت طال بنا وخرى أن ترى عبث السنين بمجدنا الفقود
عمرت ميادين النضال وحان أن تهتز دنيا الشرق بعد همود

أرض السلام وما شجيت لوطان إلاك أو ذوبت فيه نشيدي
إن طال ليك عابساً فترقبى بهمت فجر في الظلام جديد
(القاهرة) إبراهيم الموائلي

في هذا السبيل ! وليس يذهب كل ذلك سدى .. فإن لم تظهر له نتائج عملية فيكون أن يتمتع حضرات المندوبين بالحلات ، وأن يستجموا ، كي يواصلوا بعد عودتهم جلائل الأعمال .

أما المسألة الثانية التي يشتمل عليها ذلك القرار ، فهي زيارة المدير العام للإذاعة ومستشارها محطات الإذاعة بالبلاد المذكورة . وتستلزم هذه الزيارة طبعاً السفر إلى تلك البلاد والتنقل بينها والإقامة في كل منها أياماً أو أسابيع . وسيفتقدان في كل ذلك مبلغاً من المال لا بد أن يكون كبيراً ، تصرفه خزانة الإذاعة دون أن تصطنع في صرفه ما تصطنعه في أجور الفنانين والمحدثين بها من التمهّل والإبطاء ..

والناتية من هذه الرحلة الطويلة الباهظة ، اقتباس النظم التي تلائم الإذاعة في مصر ، كما يقول القرار ، فالغرض لا يتعلق بالناحية الهندسية الفنية الآلية ، وإلا كان من يوفد غير المدير والمستشار ، واستحق الأمر أن ينتقل الوفد من مصر إلى تلك البلاد ؛ وإنما يتعلق الغرض بالبرامج ، والبرامج يمكن سماعها في مصر واقتباس ما يلائم مصر منها ، فلم إذن زيارة محطات الإذاعة ؟ أألاوقوف على نظام الحجرات والمكاتب بها ، أم للاطلاع على أصول ما يذاع .. ؟

على أن الأستاذ محمد قائم بك رجل كبير ممدود له في الخدمة بعد سن الماش ، أفلا ينبغي أن يستبدل به من يمكن أن يستفاد منه طويلاً بعد أداء هذه « المهمة » إن صح أنها مهمة ... ؟

أولست ترى في هذه الزيارة عدم اعتراف بالعمل الإذاعي من حيث أن الغرض منه أن ينقل إليك كل شيء في مكانك ، ولا يجشمك أن تنتقل إلى مكانه ؟

للدولة شخصيات في الأدب والفن :

قال محدثي : أنتم لم فازت قصة « البذل والإبريق » التي ذكرت شيئاً من أمرها ، بالجائزة الأولى في مسابقة القصة بمهرجان الشباب ؟

— نعمت شيء . غير تقدير المحكمين لها ؟

— هو تقدير المحكمين طبعاً ، ولكن دخل في هذا التقدير عنصر آخر غير قيمة القصة الفنية ، فلم تكن أحسن قصة قدمت على الإطلاق ، وإنما رأسها اللجنة خير القصص الخالية من « فتاة الحب » .

لم أكن في حاجة إلى المزيد لأدرك ما يرى إليه محدثي ،

وأرجعت عدم الارتياح هذا إلى أمرين : الأول أن « مساومة الكتلات » لبلوغ هذه الغاية مستضعف من مقدرة العرب على المساومة في مسائل أهم من ذلك . والأمر الثاني أنه لو تركت جانباً مسألة الكبرياء والزهو القوي ، فالمعروف أن مندوبي العرب يجيدون اللغات المتداولة في هيئة الأمم ، فإذا تحدثوا بالعربية فلن يكون لسباع خطيبهم مترجمة الأثر الذي تحدثه براعهم في الإنجليزية أو الفرنسية .

والأمران كلاهما لغو وكلام فارغ ... فادخار الجهد من مساومة مساومة عجز وكسل ، على أن ظفر العرب بقبول لغتهم رسمية في هيئة الأمم يقوى مركزهم الأدبي فيها ، وليست مسألة الكبرياء والزهو القوي مما يترك جانباً ، فإن لها أثراً نفسياً في استثمار العرب عزيمتهم وكرامتهم ومواصلة كفاحهم ، ولها نفس الأثر في نظر مندوبي الغرب إلى العرب نظرة الند إلى الند ، لا نظرة التسلط إلى الضارع . ومن هنا ينعكس الأمر كما يقدره أولئك القديرون ، فتسهل المساومة في المسائل الأخرى .

وما دامت المسألة مساومات وكتلات فإذا تجددت البراعة في الإنجليزية أو الفرنسية التي يقال إنها ستفقد في الترجمة ؟ إن مندوب روسيا — مثلاً — يتحدث بالروسية في هيئة الأمم ، وبنام سائر المندوبين حتى ينتهي ، ثم يترجم كلامه « فاقداً » البراعة ... فهل تخسر روسيا بذلك شيئاً ؟ وهل يفوتها غنم من غنائم أهل البراعة ؟

إذن دعوا العربية تسير ، فإن تموز إن لم يباع . وإذا خسرنا الإنصاف من ذئاب الغرب وكسبنا الكبرياء والزهو القوي فلم نخسر شيئاً ، لأن الشهور بالكبرياء والزهو سيعيننا على انتزاع الإنصاف منهم بتغير الخطابة والبراعة .

ترجمته إزاعية :

قرر مجلس الإذاعة الأعلى في اجتماعه المنعقد يوم الأربعاء الماضي ، إيفاد كل من محمد قائم بك المدير العام للإذاعة ، وكریم ثابت بك مستشارها ، لحضور مؤتمر الإذاعة الذي سيعقد بإيطاليا فيما بين ١٤ و ١٩ سبتمبر الحالي ، وزيارة محطات الإذاعة في مجلثرا وفرنسا وسويسرا ، لاقتباس النظم التي تلائم الإذاعة في مصر . وفي هذا القرار مسألتان : الأولى حضور المدير والمستشار المؤتمر ، وليست هذه المسألة بعداً ، فإكثر المؤتمرات ، وما أكثر من يوفدون إليها من كبار الموظفين ، وما أكثر ما تنفقه الحكومة

على « وقائهم » من الحب في الأدب .
 « فهل نرضى الدولة بما ينطبق عليها من » تعدد الشخصية أو
 ترى تراجع نفسها لتتلاقى هذا التمدد ؟

اللجنة الثقافية ببلنانه :

بدأت اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية اجتماعاتها يوم ٢٨
 أغسطس الماضي في محمودون ببلنانه . وقد عقدت إلى وقت كتابة
 هذا أربع جلسات نظرت فيها في مسائل هامة وانتهت فيها إلى
 قرارات ، ولا تزال توالى اجتماعاتها لتتفرع بقية المسائل .

وبما نظرت فيه شؤون الإذاعة والسينما الثقافية ، فقررت
 توصية مجلس الجامعة بمشروع إنشاء محطة إذاعة عربية كبرى ،
 وتقوية الإذاعات الحالية ريثما يتم تنفيذ المشروع ، كما تقرر الدعوة
 إلى عقد مؤتمر لدبري محطات الإذاعة للبحث في أنجع الوسائل
 التي تسكف لتسيق البرامج الثقافية العربية المشتركة وتنظيمها .
 وتقرر أيضاً الدعوة إلى مؤتمر للخبراء الفنيين في السينما للبحث
 في ترقية السينما العربية وإنتاج أفلام دعابة للبلاد العربية في الخارج
 وقد اشترك الأعضاء من أن الأفلام العربية ليست في المستوى
 الراق الذي يشهد منها وأنها تنافي أحياناً الأخلاق العامة والبادي .
 القومية ورجوا توصية الحكومات العربية لإصلاح هذا النقص .
 وقررت اللجنة تنظيم مهرجان حافل يقام في إحدى العواصم
 العربية تخليداً لذكرى ابن سينا ، ووضعت برنامجاً لتنظيم هذا
 المهرجان ، وقررت تأليف لجنة للنشر آثار ابن سينا ، كما قررت
 إنشاء مؤسسة عذبة تذكارية بطلان عليها اسم الفيلسوف العظيم
 لتخليد ذكره .

ونظرت اللجنة قضية الأساتذة والطلاب ورجال الفكر
 الفلسطينيين ، واتخذت فيها قرارات هامة ستعرض على
 الجهات المختصة لإقرارها . ومما تضمنته توصية الدول العربية
 لاستخدام الأساتذة الفلسطينيين الفنيين ، وقبول الطلاب
 الفلسطينيين بالجامعات في معاهد الحكومات العربية ، وفتح مدارس
 في الأماكن التي يكثر فيها الفلسطينيون خارج فلسطين ؛ وقررت
 أن تطلب إلى اللجنة السياسية العمل على تأمين النفقات للطلاب
 الفلسطينيين في أوروبا وأمريكا .

عباس مظهر

فهرجان الشباب الأدبي نظمته وزارة المعارف ، فهي إذن تفرص
 على التوفيق والاحتشام في هذه المسابقات الأدبية ، كما تفرص
 عليهما فيما يقدم إلى التلاميذ في المدارس من نصوص الأدب ،
 فالتبوع في اختيار هذه النصوص أن تكون من أغراض غير
 النزل كاللح والرناء والفخر والحكم والأمثال ، وإن كان الحال
 قد تغير قليلاً في السنوات الأخيرة إذ صار بعض الأساتذة لا يجد
 بأساً في قطع من النزل « المتداول » يجذب بها التلاميذ ويحببهم
 في الأدب ، ويسرى عنهم عتاء الحكم والأمثال والنماذج وما إليها
 جال هذا بخاطري على أثر ذلك الحديث . ثم قلت في نفسي :

إن بعض المعاهد التي تشرف عليها وزارة المعارف ، تقيم في بعض
 الأحيان حفلات عامة فيها تمثيل وغناء ورقص ، وفي بعض هذه
 الفنون يختلط الفتيان بالفتيات ، وقد تقتضي الحال تمثيل الحب .
 ووزارة الشؤون الاجتماعية تشرف على المسرح والسينما والإذاعة
 وتسكاد هذه الثلاثة تقوم على الحب من تمثيل وغناء ورقص ،
 وكثيراً ما يكون فيها الحب الذي هو أكثر من الحب
 والوزارتان تشتركان في استقدام الرقصات من أوروبا كفتيات
 (الباليه) للتمثيل والرقص على مسرح الأوبرا .

ثم قلت في نفسي أيضاً : يا عجبا ! الدولة شخصيتان ، إحداها
 مترتبة وقور والأخرى عصرية (اسبور) ؟ ولم كانت الأولى من
 قسمة الأدب وظهر بالثانية سائر الفنون ؟ قد يكون ذلك من
 طبيعة الشرقيين على الأدب في الوزارة ومن طبيعة الشرقيين على
 الفنون الأخرى في الحكومة وفي خارج الحكومة .

ولكن لا أرى أن الأدب أولى بالشخصية الثانية ، فهو
 كلام ، وجوه أكثر أمناً من غيره ، وقد كان بعض أسلافنا الذين
 لم يدركوا اختراع كلمة « الصدق الفني » يتفرون ويصفون الحسان
 ويقولون في الخمر (غير ما قال مالك) ويصفون فملها بالنفيس ،
 ولم يذق أحد منهم طعماً للحب أو للخمر . ولم يشكر عليهم أحد
 ما يقولون ، بل كان منهم من يمد من القهقهة والصالحين .
 أما الفنون الأخرى غير الأدب وخاصة التمثيل فالحب فيها عملي .
 والأدب لا يفهمه إلا الكبار « المتسلط » أما المسرح والسينما
 والإذاعة فهي في متناول الجميع من صغار وكبار ، وخاصة الإذاعة ،
 فهي لا يمكن النع منها ، وهي تقتحم كل بيت بكل بذى من
 الأغاني و (اللوحات) لا بالتمثيل عن المواظف المهذبة فقط ، وفي
 جملة من يسمعون التلاميذ والتلميذات الذين تفرص وزارة المعارف

القاعدة إلى الأفهام !

٣ — قال : إنه يحيل قول الشاعر « لا تنه عن خلق وتأتي مثله إلى الحال ، وقد تجوز في رأيه تجوزاً بعيداً ، فقد فرق (الرضي) بين واو الحال ، واو العطف ، واو المية بما يفيد أنهم — أعنى النحاة — لما قصدوا معنى المصاحبة نصبوا المضارع بعدها ليكون السياق مرشداً في أول الأمر إلى أن الواو ليست للعطف ، أما واو الحال — وأكثر دخولها على الأسمية — ؛ فالمضارع بعدها في تقدير مبتدأ محذوف الخبر وجوباً ، فمضى (قم وأقوم) : وقامى ثابت .

على أن الطلب : « ما يتوقف تحقق مدلوله على النطق به » ؛ فكان بينه وبين ما بعده ارتباطاً فيه ترتب حكم ؛ فالنهي عن الخلق مرتبط بملابسه فمله — أما جملة الحال ؛ فيقصد منها الكشف أو بيان الهيئة فإذا قلت : « لا تقع في اللبس وأنت غافطان » كان المعنى النهي عن الوقوع في اللبس في حال الغلط ؛ فقد يقع اللبس سهواً على خلاف « لا تقع في اللبس وتغلط » ؛ فإنه يقتضي النهي عن وقوعها أو وقوع اللبس وحده مع ملازمة الغلط .

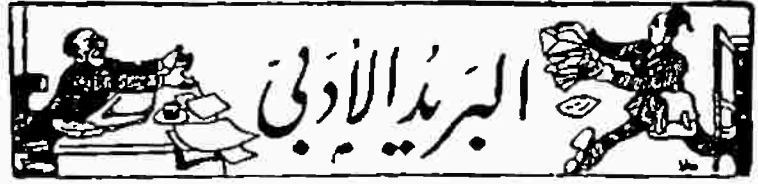
وبعد ؛ فهذا ما بدا لنا سقفاً للعلم والحق — على قدر ما نعلم — « وفوق كل ذي علم عليم » !

أصممر عبير اللطيف بربر
تدرس دور سعد

هأنذا :

اشتهر بين النقاد أن الضمير المبوق بها التنبية بخبر عنه وجوباً باسم الإشارة الذي يناسبه ، ومثاله قول الله تعالى : (هأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) وقوله جل وعلا : (هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) . وقول الشاعر :

إن الفتى من يقول هأنذا ليس الفتى من يقول : كان أبي
وقد غلا كثير منهم في تطبيق هذا الحكم علواً كثيراً ؛
مع تحلوه في مواطن شتى من كلام البناء والعلماء الذين يقتدى
برأيهم ؛ كالإمامة (ابن هشام) فإنه أورد هذه القاعدة في (الغنى)
ولكنه جرياً وراء فطرته فرّق بين ما يجب فيه ذلك وما لا يجب



المفعول معه ، وواو المية :

كتب الأستاذ عبد الستار فراج كلمة حول « واو المية ، والمفعول معه » أورد فيها أموراً في حاجة إلى المناقشة .

١ — قال في مقام الاستشهاد على إفادة الواو معنى مع . أن قوله تعالى : « والذين تبوءوا الدار والإيمان » أنهم تبوءوا الدار مع الإيمان .

وقد أورد الصبان في حاشيته على الأشتوني هذا الشاهد ، لكن النسخ فسر به بقوله و (أخلصوا) الإيمان بمعنى بتقدير فعل مناسب كقوله :

« علفتها تبنكاً وماء يارداً » يشير بهذا إلى أن ما بعد الواو لا يصح اشتراكه في الحكم « الحدث » مع ما قبلها لاختلاف المدلول .

وقد سار على ذلك التأويل الفراء والفارس ، وأما المازني ، والمبرد وأبو عبيدة ، والأصمعي ، والبريدى ؛ فقد قدروا فعلاً يصح انصبابه عليهما وهو (أنلت) .

وعلى القولين يمكن تخرج الآية بأن (الإيمان) إما أن يكون منصوباً (يلزموا) ، أو (ألقوا وأخلصوا) ؛ فسياق الأستاذ بعيد عن الدقة لأن الواو تقتضي معاني متعددة ؛ فهي تفيد الاشتراك ، أو المية ، أو الدلالة على العطف من دون تأويل ، أو بقاءها مع حذف المفعول عليه لاختصاصها هي والقاء الماطفة به ٣ — غير أننا حين نفارق بين واو العطف ، وواو المية

بإزمنا التقريب إلى إيضاح مرادنا في صورة بيّنة ، ونحن نطأهه على قدمه تعريف المفعول معه ، لكن الأمثلة توضح القاعدة وتحدد معاني الألفاظ الاصطلاحية . فنقول اختلافاً في (خرجت والأسيل ، وسرت والشاطئ ، واستذكرت والمصباح) : إن ما بعد الواو لا يصح أن يقع منه الحدث ، إذ الأسيل لا يخرج ، والشاطئ لا يسير ، والمصباح لا يستذكر ، وإنما حصلت الأحداث مقارنة لهذه الأشياء ، وبهذا الأسلوب الإيهامي نستدني

آراء بعض العلماء فيه تنتظر رأى فضيلة الشيخ أحمد بن محمد آل شاكر إلا أن فضيلته لأمر لاندريه ، تنزع بالصمت ولم يتيسر بينت شفه في أغلال القميمي والآن بمناسبة ظهور رد جديد على الأغلال نفسها من الشيخ محمد بن عبد الرزاق آل حمزة ومقدمة من الأستاذ القمراوي نرى أن الفراغ لا يزال موجوداً لم يسد ولا يصلح ولن يصلح لسد هذا الفراغ إلا كلمة فضيلة الشيخ الشاكر فيه إذ لا يدعى للجل إلا أخوها . وعليه نرجو في إلحاح من فضيلة الشيخ الشاكر بيان رأيه الثاقب وكلمة العلم في الموضوع وله من الله الأجر والثوبة ، ومنا طلبية العلم الشكر الجزيل وإنا لسكامته منتظرون .

(الرياض) عبد الرحمن بن سالح

مراجع ثمينة

- ٤٥ الباب في الانساب لشيخ المؤرخين ابن الاثير
(الجزء الأول)
٤٠ الباب في الانساب لشيخ المؤرخين ابن الاثير
(الجزء الثاني)
٢٠ ديوان الميرى الرفاء الشاعر الاجتهادي الشعبي
٧٥ فتاوى الامام تقي الدين السبكي النوفى سنة ٧٥٦
٢١٥ مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ، جمع فيه ما زاد على الكتب الستة من الاحاديث .
٥٠ معجم الشعراء العربيات والوثائق والمختلف الامدى
٤٥ عبود الأثر في فنون المغارى والشهائل والسير لابن سيد الناس

٣٠٠ تاريخ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوى
٢٨٠ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن المقادير
تطلب من (مكتبة القدسي) بحار الجداوى بميدان أحمد
ماهر باشا بالقاهرة س . ت ١٦١٥

فقال في مقدمة الكتاب قوله (وهانا بأخ بما أسرته) بدون أن يخبر باسم الإشارة ؛ وقال (البحتري) وهو من هو في صفاء الأسلوب :

ها هو الشيب لأخفاق فأنيق وأزكيه إن كان غير مفيق ولا يمكن وقوع (البحتري) في هذا الخطأ إن كان الحكم السابق مطرداً في جميع الأحوال ؛ والحق أن النجاة لم يوجبوه ولكن كثيراً من الواقفين على شاطئ العلوم لا يفرقون بين أسلوب وأسلوب ، ولا يتمقون الباحث العلمية حتى يقفوا على أسرارها ، فيقعوا في الأمور على بينة ، وإني — ولا أزكي نفسي — أستطيع أن أعرض على القارىء ما أراه سبباً لتخلف هذه القاعدة في بعض الحالات ؛ يبدو لي أن الأساليب المقرونة بالتحدى هي التي لا تخلو من أسماء الإشارة ؛ فالآيتان الكریمتان فيهما إنكار شديد ، وعتاب لاذع للمؤمنين الذين لا يزالون يجادلون عن النافقين وأشغالهم ، والذين لا يزالون يوادونهم ويحبونهم مع استبانة البغضاء في أفواههم ، وتعاديتهم في مماثلة الإسلام والكيد للمسلمين ؛ ولما كان هذا اللوم شديداً على نفوس المؤمنين ومظنة لمحاولة التنصل منه حسن الإخبار باسم الإشارة زيادة في تصوير موجب اللوم حتى كأنه مصور محس لا يمكن التنصل منه ؛ وكذلك الشأن في البيت فإن معنى التحدى واضح فيه كل الوضوح . (وزيادة في الفائدة يحسن الإشارة إلى أن بعض المفسرين يعتبر اسم الإشارة في الآيتين منادى مع حذف حرف النداء) . ثم نرجع إلى صميم البحث فنقول : أما إذا خلا الكلام من معنى التحدى فقد حسن (أو جاز على الأقل) تجريد الكلام من اسم الإشارة ؛ وهذا يكون (البحتري) على العهد به في تفهم مقتضى الحال ، والإنيان بما يطابقه من الكلام ، فيكون كلامه جارياً على سجيته : من الجودة والرياسة ، كما كانت الآيتان الكریمتان في الذروة من البلاغة لأنهما طابقتا كل المطابقة مقتضى الحال .

محمود البسيبي

(الاسكندرية)

كتاب منقول إلى صاحب الفضيلة الشيخ أحمد محمد آل شاكر

كنا عند ظهور كتاب الأغلال لعبد الله القميمي وتداول



فنون الإسلام

نقد ودراسة

للدكتور أحمد موسى

تفضل الدكتور زكي محمد حسن وكيل كلية الآداب بجامعة
فؤاد الأول واستاذ الآثار الإسلامية فيها ، فأهدى إلى نسخة
من كتابه « فنون الإسلام » وهو الكتاب الذى بدأى عندما
قلت صفحته أنه ليس من الكتب التى يسهل درسها ونقدها
فى وقت قصير ، مما ألقى التأتى فى قراءته بإيمان يتناسب مع
قيمه وخطره !

والحق أشهد أنى وجدت فى الكتاب كل ما تصبو إليه
نفس القارى من الثمة والتثقيف الفنى ، أما الثمة فلأنه تناول
تاريخ فنون الإسلام ونشوتها وتطورها من أقدم عصورها حتى
آخر عصر النهضة الأوربية ، وهو موضوع بلد لسكل قارى
الاطلاع عابه ، وأما التثقيف فلأنه حافل زاخر بدراسة محيطه
لهذا الموضوع المظلم الشأن من جميع نواحيه ، فى أسلوب
الأديب ، فجاء بمبدأ عن الحقائق العلمى الخالص ، مع توافر أصوله
فى كل صفحة من صفحاته ، مما جعل منه مرجعاً لكل باحث .

والاستاذ الدكتور زكى عنى عن التعريف إلا أنه بهم القارى .
أن يعلم أن مؤلف الكتاب (الذى بين أيدينا) حاز على دبلوم
الآثار الشرقية والإسلامية من مدرسة اللوفر ، ودبلوم اللغة
الفارسية من مدرسة اللغات الشرقية بباريس ، فضلاً عن أنه حاز
على ليسانس الآداب من الجامعة المصرية ودكتوراه الآداب من
المصريون .

أما من حيث الناحية العملية فقد كان مساعداً علمياً بمتحف
برلين كما كان أميناً لدار الآثار العربية بالقاهرة ، وهو بهذا وبما

سبق له تأليفه من كتب فى الفن الإسلامى يدفع بالقارى .
لكتابته إلى الاطمئنان الكامل .

ولا أباغنى القول بأنه لولا مؤلفه المذكور وما سبقه من
مؤلفاته (١) لكان ما أخرج للناس فى لغتنا العربية خاصاً

بالفن الإسلامى قليلاً ضئيل النفع ، ولعل مما يؤيد هذا ، المراجع
التي ذكرها فى ذيل كتابه والتي بلغت ٢٧٠ مرجعاً بالألمانية
والانجليزية والفرنسية ، اللهم إلا تسعة عشر مرجعاً جاءت باللغة
العربية معظمها فى موضوعين اثنين هما العمارة والحرف ، أما ما تبقى
بمد ذلك من الموضوعات فلا توجد له مراجع معتبرة فى اللغة العربية
ولسنا فى مجال البحث عن الأسباب التى أدت إلى الركود
المجيب فى الدراسات الفنية بالبلاد الشرقية عموماً وبمصر
على وجه الخصوص .

على أن هذا لا يمنع من أن أذكر أنه قد ظهرت بضعة مؤلفات
باللغة العربية عدا تلك التى جاء ذكرها ضمن مراجع الدكتور
زكى ، كان مؤلفوها من غير المتخصصين ، فكانت كتاباتهم
لا تخرج عن محاولات ، فضلاً عن ظهورها فى عالم المطبوعات ،
فى وقت كان إقبال الناس فيه على دراسة الفن ومعرفة أسرار
ضئلاً يكاد يكون معدوماً .

ولما كانت مهمة تاريخ الفن هى الاستعراض العلمى لشؤنه
وتطوره وارتقائه وأثره ، على أساس التاريخ العام مع تطبيق
أصول علوم أخرى ، ولما كان الأسلوب العلمى فى التاريخ العام
هو تقسيمه إلى الأقسام الثلاثة المعروفة بالقديم والمتوسط والحديث ،
فإن تاريخ الفن مع كونه استمراراً لشؤنه الفن وتطوره وأثره كما
ذكرت ، يخصص لنفس القاعدة بنىة التبسيط ، ولإيجاد الرابطة
الوثيقة بين التاريخ العام وتاريخ الفن ، على اعتبار الإنتاج الفنى
مقياس الحضارات الصادق .

هنا بيان يدفعنى إلى الخروج عن موضوع الكتاب ؛ فأذكر
شيئاً عن تاريخ العلوم والعنون الإسلامية عند الغربيين وعن المدافع

(١) الفن الإسلامى فى مصر - - - - - تصوير فى الإسلام عند العرب
- - - - - كورنيليا - - - - - فى مصر الإسلامية - - - - - نوح
محمدة من الثقافة الإسلامية ، وهناك الكتابان الأخيران اشتركا مع آخرين
فى تأليفهما ، وله كتب ترجمها عن اللغات الأوربية أذكر منها نوات الإسلام
- - - - - وعلم الآثار ترجمه بالاشتراك مع الأستاذ محمود حمزة .

وأما لغة الضاد لم تبدأ إلا منذ منتصف القرن الثامن عشر بعدما خرجت عن نطاق الكنيسة ودخلت في نطاق الاستعمار النظام ، فند كروليم جوتز الإنجليزي الذي وجه نظر بلاده (بالغة السياسة) إلى الدراسات الشرقية وما ينتظر من وراثتها من فوائد ، وذلك في مقاله الافتتاحي بمناسبة إنشاء الجمعية الآسيوية في عام ١٧٨٤ ، كما نذكر سافتر دى سامى صاحب المجهودات البارزة للارتفاع بالوثائق العربية وكتاب العرب !

وإذا كانت الدراسات الشرقية في مختلف العلوم قد سارت على غير نشاط متشابه نتيجة الاهتمام بفروع منها دون الأخرى ؛ فإن فجر القرن التاسع عشر قد عرف بأنه فجر النشاط الشامل لمختلف نواحي تلك الدراسات ، فبدأ التخصص بظهر في أفق العلم ولا سيما بعد تأسيس الجمعيات العلمية في كل دولة من الدول العظمى التي اعتمدت بالشرق ، فنجد جمعية العلوم الشرقية الألمانية تأسست في سنة ١٨٤٥ بمدينة ليبزج ، ومعهد اللغات الشرقية ومدرستها في سنة ١٨٨٧ ببرلين ، على حين تأسست جمعية فيينا قبل ذلك باسم الأكاديمية الشرقية ، أما في باريس فقد عرفت باسم *Ecole spéciale des Langues orientales vivantes* وعدا هذه جمعيات لندن وپترسبرج وغيرها

كل هذا من أجل الشرق بما حواه ، ولم تكن هناك وسيلة لغزوه أفضل من وسيلة العلم ، فلن نجد في أوروبا من ينكر الخير العميم الذي جاء كالفيت على أهل أوروبا نتيجة لتأسيس تلك الجمعيات التي عب السكثيرون من أعضائها لارحيل إلى الشرق للدرس الجامع الشامل والقيام بأعمال الحفر الأثرى استكمالاً لما شاهدوه منها ظاهراً بـبحر الألباب !

ولهذا فلا عجب عند ما نجد كل المراجع الحديثة ذات القيمة العلمية في البحوث الشرقية والإسلامية باللغات الأوربية .

ولكن الموضوع لا يفت عند هذا الحد ، إذ انصح بعد وضع المؤلفات عن الشرق وما فيه انتقارها إلى الأسلوب العلمى الذى لا يكون إلا بالتخصص ، ولما كانت هذه المؤلفات قد اشتملت ضمناً على التراث الفنى المجيد ، وفيه مجال فسيح الأفق لا يصل إلى مضاء إلا الدارس ، رأينا هؤلاء الأوربيين يعطون القوس باريها !

وهنا أراى مضطراً مرة أخرى إلى التمرج على قصة تاريخ الفن ما دمنا في معرض الكلام عن « فنون الإسلام » :

التي حفزتهم إلى العمل في هذا المجال الفسيح .

فعندما قصد رجال كنيسة روما نشر الديانة المسيحية بين شعوب آسيا وأوروبا وشمال افرريقية رأوا أنه لا مخلص من معرفة لغات هذه الشعوب لأنها المفتاح الأوحد إلى قلوبهم ، فتجد أنه لم ينتصف القرن الثالث عشر الميلادى حتى كان البابا « اينوسنس » قد أصدر أمره بإنشاء كرامى (جامعة) لتعليم اللغة العربية ، وهو الأمر الذى حافظ على تنفيذ « كليمينس » الرابع و « هونوريوس » الرابع . أما في عهد « كليمينس » الخامس ، فقد تقرر في المؤتمر الكنسى بمدينة فيينا Vienna Synode إعداد معلمين لتدريس اللغة العربية في كل من روما وباريس وأكسفورد وبولونا وسلامنكا كطريق إلى غزو الشرق بما فيه من السكثوز العلمية والأدبية والفنية وغيرها ، وتطور الحال فلم تقتصر هذه العناية على معرفة اللغة العربية للأنها ، بل ازداد الاهتمام بمعرفة أمرارها وإدراك ما كتب بها من مؤلفات في مختلف العلوم والفنون ، لا للدرس والمعرفة فحسب ؛ بل كذلك للاستيلاء على تلك المؤلفات نفسها كلها سفحت الفرصة ، وهى المؤلفات التي ترجمها العرب عن الأغارقة وغيرهم عدا ما أنقوه ، لى يتمكن العقل الأوربى من الوقوف على مصدر حضارة العرب ، وعلى ما تركه أرسطو وغيره من رجال المدرسة الأثينية والسكندرية من المؤلفات الزاخرة بالمادة العلمية للإفادة منها جيماً .

وهكذا انتهى الأمر بظهور الكثير من الكتب القيمة باللغة اللاتينية أصلها عربى من تأليف علماء المسلمين ومن اشتغل إلى جانبهم من الشرقيين خلال القرون الوسطى الزاهرة في تاريخ الإسلام .

وجاء دور الانقلاب الدينى في أوروبا ، وأمام ما بيننا من آثاره انتشار الدراسات الشرقية وزيادة العناية بمعرفة اللغة العربية عند ما كان « علم التفسير » exegesis من العلوم التي ترجع في أصولها إلى المصادر الشرقية لإيضاح نصوص الكتاب المقدس . هذا إلى جانب الدور الخطير الذى لعبته البعثات التبشيرية الكاثوليكية لنشر المبادئ المسيحية في الشرق ، فخصص البابا « أربان » الثامن في عام ١٦٦٧ لبعثة الدعاية الدينية Collegium pro fide propaganda فريقاً من رجال اللاهوت لدراسة اللغات الشرقية وفي مقدمتها اللغة العربية .

وصفوة القول أن الدراسة العلمية السليمة لهذه اللغات وعلى

جغرافياً حرصاً على استبقاء آثار التجاور وتشابه الأجواء والبيئات على الإنتاج الفني فضلاً عن سهولة التداول، فقامت المؤلفات ومنها ما يخص الفن القديم من شرق وغربي، فصر وبابل وآشور والعراق والفرس والمهند والصين في كفة، والإغريق والرومان في كفة أخرى.

وهكذا كانت التقسيم لفن المعصر المتوسط وافن المعصر الحديث من حيث المنهج والأسلوب الدراسي.

هذا إلى جانب تقسيم الإنتاج الفني نفسه إلى عمارة ونحت وتصوير وفنون رفيعة الخ.

وظل البحث الفني في تقدم مستمر بتقديم أعمال الحفر والتنقيب من الآثار إلى جانب ترميم وإصلاح المآثر واللباني من كنائس وقصور ومساجد الخ، فوجدنا كتباً عن فن قائم بذاته كالفن الإغريقي وحده، كما وجدنا مجلدات تخص فن النحت دون سواه. ولم تقف الحال عند هذا، بل ترى فريقاً من عشاق الفن وقد اشتغل بتاريخ حياة مثال بعينه؛ فتجد بحثاً قائماً بذاته عن فيدياس مثلاً.

أما التقدم في إخراج هذه الكتب فكان من ثلاث نواح، الأولى أن تأليفها كان مبنياً على أصول البحث العلمي وما يحتاج إليه هذا من الأمانة في الموازنة والمقارنة، وفي ذكر المراجع والمصادر عند عرض رأي من الآراء الفنية أو مناقشته، والثانية تزويدها بالصور الفوتوغرافية القيمة التي أماطت اللثام عن كثير من الدقائق التي لا يمكن فحصها في مكانها الأصلي، إلى جانب تكاليف السفر ومشقته وما يستنفذه من وقت ومجهود، والثالثة تقدم فن الطباعة تقدماً مجيداً جعل في الأمكان الجمع بين لوازم المعلم من ناحية تنويع حروف الطباعة لملاءمة البحث وتمييز فصوله وأبوابه، وتلوين الأشكال والصور بألوان تحاكي الأصل - وبين الدقة والعناية، بل والأمانة في الإخراج، فأصبحت كتب الفن في كل من أوربا وأمريكا أنموذجاً للكمال.

هذا إلى جانب ما أخرج للراغبين من معاجم ودوائر معارف وموسوعات ومجلات ونشرات وتقارير سنوية وغير سنوية للدراسات والاكتشافات الفنية والأثرية وأصول النقد الفني والتقدم في النقد المقارن.

كانت كل هذه الجهود تدبير قديماً ونحن في نوم عميق! على أن هذا النوم العميق لم يمنع من ظهور بعض الكتب الترجمة عن الفن المصري حيناً وعن الفن في القرون الوسطى.

فقد بدأ الكتاب الروماني بلينيوس كتابه عن الفن وتاريخه (في العصر القديم) في القرن الأول المسيحي، ووضع الكتاب الإغريقي يوزانياس في النصف الثاني من القرن الثاني المسيحي كتابه الشامل لبيانات وأوصاف وإيضاحات فنية نافذة كانت بأسلوب أقرب إلى السرد منه إلى النقد.

ولم يكن الأسلوب مختلفاً عن ذلك كثيراً في القرون الوسطى فلم يكن ما كتب يزيد عن وصف عام للمآثر، وإيضاح لما استنفد في إنشائها من مجهود.

وقد ظهرت بعدئذ كتب في تاريخ الفن العام في ثوب علمي نتيجة لإقبال الناس على مؤلفات الأقدمين ودراسة آثارهم والنقل عنهم، فقام فريق من أهل العلم بتفسير ما حرره فيتروفيوس، على حين اشتغل فريق آخر بتسجيل الكتابات والنفوش التي وجدت على كثير من الآثار مع تفسيرات وشروح.

ومهما يكن نوع هذه الجهود والطريقة التي سار عليها أصحابها، فإنه لا يمكننا أن نرجع المحاولات الصائبة في مضمار تاريخ الفن إلى أبعد من القرن السادس عشر، عند ما كتب لأول مرة المؤرخ اللاتيني «فاساري» الذي تتلذذ في الفن على ميكلائيلو، والذي يعد بحق إمام مؤرخي الفن، كتابه القيم الذي حوى تراجم مفيدة لرجال الفن في إيطاليا.

وهناك مؤلفات جذبة بالذكر، منها كتاب «المشاهدات» لكارل فان ماندر، وكتاب أكاديمية الممارسة والنحت والتصوير لبواخيم فون ساندرو، وكتاب برنارد دي مونفاكو، فضلاً عن كتاب بواخيم فينكلمان مؤسس علم الأركيولوجيا سنة ١٧٤٥ وجاء بعد هؤلاء كثيرون لا يتسع المقام لذكرهم.

إلى هذا الحين كانت كل الجهود فردية، كما كان أنجاه كل مؤلف أنجاهاً خاصاً وفن بعينه، فكان الراغب في المعرفة الفنية العامة لا يستطيع الوصول إلى بغيته، حتى أن الأثران وتكاتف فريق من علماء الألمان كتاباً تكاتفهم في مضمار تاريخ الفلسفة وغيرها - على إخراج مؤلف شامل، فظهر في الألق كتاب «شماره» وبعده بقليل كتاب «لوبكة» وبعده كتاب «عظيم الشأن» هو «تاريخ الفن العام» لمؤلفه أنطون شبرنجر، والذي يطالع حتى اليوم بإضافات مستمرة في مجلدات ستة تعتبر مرجعاً طيباً لكل مؤرخ فني.

وقسموا كتبهم التي أخرجوها في مجلدات إلى عصر، والمصور إلى مراحل، ووزعت المراحل على الشعوب توزيعاً

وقد اختص الدكتور زكي موضوع التصوير الإسلامي بأكثر عدد من الصفحات (٧٨ صفحة) تناول المؤلف فيها ضمناً ما قيل من الأسباب التي جعلت منه فناً جامداً - وأخذ يناقش مختلف الآراء بأسلوبه الممتع . كما اختص الفنون المدنية بصفحة تجلج في نحو ٧٣ صفحة ، أما المنسوجات فقد جاءت في ٥٣ صفحة ، والحفر على الخشب في ٥١ صفحة ، ثم يلي ذلك الخزف والسجاد والبراقع والبلور الخ . وهي أبواب كما ترى تصلح لأن تكون كتباً مستقلة ، ولكن المؤلف شاء أن يكون كتابه مرجعاً لكل باحث ومثقف لكل مرید .

نعم جاءت بعض الصور التي بلغ عددها جميعاً ٧٥٠ صورة على غير الدرجة المرجوة من الدقة والظهور وهي الرقومة ١٥٢ و ٢٠٨ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٣٩ ، ٢٥٠ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ و ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٨٠ ، ٤٥١ ، ٥٠٦ ، ٥١٣ ، ٥٢٤ و ٥٣٤ ، ٥٣٩ ، ٥٦٤ ، إلا أن هذا لا يمنع من تسجيل النجاح فهذه كلها لا تزيد عن ٤ في المائة من مجموع صور الكتاب التي جاءت شرحاً وإيضاحاً للموضوع .

أما الأساليب الفنية الإسلامية فقد تناولها المؤلف منذ نشأتها في القرن الأول الهجري حتى غزته الأساليب الفنية الأوربية في القرن الثامن عشر الميلادي بإقاضة وبيان شامل - وربما كان من أوجه الكمال لو أن الدكتور ذكر أمام كل مرجع السكان الموجود فيه ، ذلك لأن عدد المراجع وقد بلغ ٢٧٠ يعد في ذاته مفتاحاً لكل باحث ، فإذا علم ما يوجد منها بدار الكتب المصرية ، وما بالجمعية الجغرافية وما تضمنتها مجموعة المهدد المصري ، ومكتبة الجامعة ومكتبه كلية الآداب ؛ فإنه ولا شك يختصر الطريق ويصل إلى ما يبتغيه .

وقد حرص المؤلف على تذييل كتابه بكتابات في نحو ٢٣ صفحة وبخرائطين تخطيطيتين أولاهما لإيران ، وثانيهما للشرق الأدنى وبلاد المغرب .

فأملى الس في القريب إقبال الناس على قراءة هذا الكتاب الذي أعده باقة زهر يامة قدمها المؤلف إلى أبناء اللغة العربية ، في انسب الأوقات

أحمد موسى

كبير الفنانين بمصلحة الساحة المصرية

وفي عصر النهضة وما بعده حيناً آخر ، وهي كتب أكثر ما يمكن أن يقال فيها أنها محاولات وترجمات لكتب فنية لا تتفق أصلاً مع حاجة المصريين ولا مع سابق دراساتهم إلى ذلك الحين على الأقل ، كما كان بعضها أقرب إلى « كتالوجات » الصور منه إلى الكتب الدراسية ذات الأسلوب النافع . ولهذا جاءت ضعيفة الإخراج قليلة المادة ضئيلة الدفع ، لا لشيء سوى عدم تخصص مترجميها أو مؤلفيها من ناحية وعدم وجود القارئ للكتب الفنية القيمة التي تدفع بالتخصصين إلى العمل من ناحية أخرى .

واقعد ظهرت بعد الثورة المصرية بعض كتب قيمة إلى جانب مقالات وبحوث ظهرت في مجلات محترمة عن الفن وأتجاهاته ومدارسه . فإذا ما ظهر اليوم كتاب « فنون الإسلام » لتتوزر الأذهان نحو موضوع من أخطر موضوعات الثقافة الفنية الإسلامية ؛ فإنه لا يسعنا إلا تهنئة القراء الشرقيين عموماً والمصريين على وجه الخصوص بهذا الكتاب الجامع الشامل والحق أشهد أنه من أشق الموضوعات التي تحتاج إلى التريث وطول الأناة وسعة الاطلاع ، فمنعما يتصدى الكاتب لفنون الإسلام جميعاً إنما يجابه موضوعاً عسيراً ، لا بتغلب عليه إلا القادرون .

جاء الكتاب في نحو ٧٥٠ صفحة من القطع المتوسط شاملاً للعمارة والنحت والتصوير وأعمال النجارة والقاشاني والفنون الزخرفية بأوسع معاني الكلمة ، وذلك في الأقطار الإسلامية مرتبة ومبوبة تبويباً خاصاً للأسلوب الملقى .

وإذا علمت بأن فنون الإسلام في مجموعها تقف أمام الفنون الوثنية الكلاسيكية موقفة الناهض ، وأنها قامت على أكتاف الفنون المسيحية في أول أمرها ثم أخذت تستقل رويداً رويداً حتى تم لها الوجود والسيان القائم بنفسه ؛ استطاعت تقدير المشقة والمجهود المبذولين لبيان هذا الأنجا بقلم كاتب مصري مسلم ! وأمل من الخبير أن تذكر أن المحور الذي تدور حوله الفنون المسيحية المبكرة وما بعدها كان دينياً خالصاً ؛ فأقيمت الكنائس مزودة بالتماثيل الآدمية وغير الآدمية ومحلاة بالتماثيل الدينية وما إليها ، على حين كان المحور الذي تدور حوله الفنون الإسلامية هو إنشاء المساجد والجوامع مجردة من النحت الآدمي والصور الدينية ، وهذا موضوع تناوله المؤلف بالبيان في كتابه .

سكك حديد الحكومة المصرية

تسيير عربات جديدة فاخرة مكيفة الهواء

يشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه قد تقرر البدء بتسيير العربات الجديدة مكيفة الهواء التي وصلت حديثاً اعتباراً من أول
سبتمبر سنة ١٩٤٨ على خط مصر الاسكندرية وفي القطارات الفاخرة الصباحية والمسائية وفي قطارى اكسبريس الظهر
ويمكن لركاب الدرجة الأولى الذين يرغبون في السفر بهذه العربات حجز مقاعد لهم مقدماً مقابل رسم إضافي قدره ٣٠٠ مليم
(ثلثمائة مليم)

وبيان القطارات كما يلي :-

من مصر الساعة ٤٥ ر ٧ والساعة ٣٠ ر ١٢ والساعة ١٨
من الاسكندرية الساعة ١٥ ر ٧ والساعة ١٢ والساعة ٣٠ ر ١٧

مُطَبَّعَةُ السَّالِمِ